

جامعة محمد بوضياف - المسيلة  
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

# البنى الإثنية في الأندلس

## بين التنوع والتضاد

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ القرون الوسطى

إشراف الأستاذ:

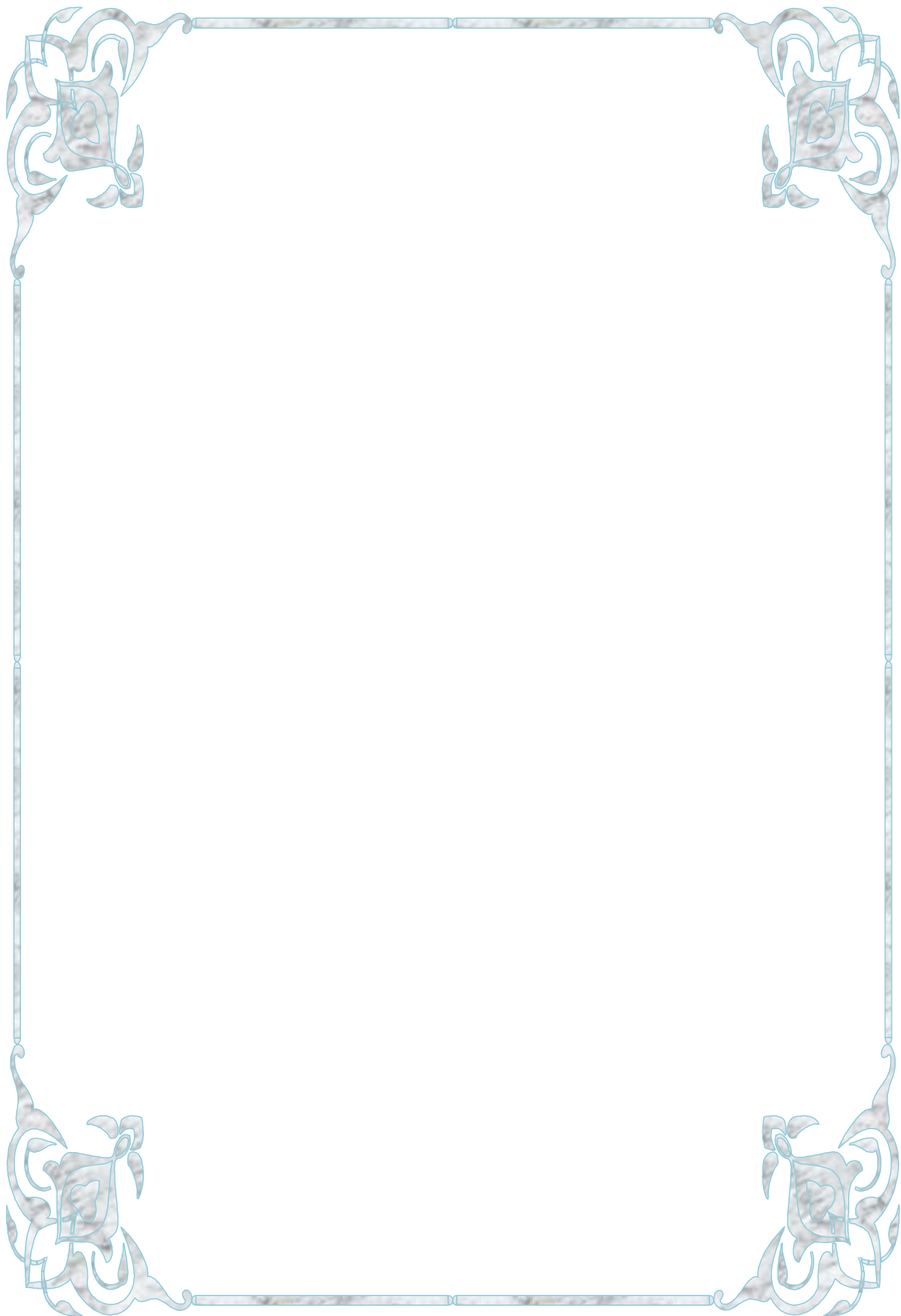
لخضر بواطيف

إعداد الطالبة:

حنان العطر اوي

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
مراد لكحل	أستاذ مساعد ب -	رئيسا
لخضر بواطيف	أستاذ مساعد أ -	مشرفا
عبد الغني حروز	أستاذ مساعد أ -	مناقشا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ / 2015-2016م



# شكر و عرفان:

يسرني أن أنسج على إحدى صفحات هاته المذكرة

أسمى عبارات الشكر وأعطر معاني الشناء

إلى الذي عبّد لي طريق النجاح، وفتح لي آفاق الأمل وفضاءات  
التحدي، فكان -بحق- نبراس العطاء، ومعينه الفياض الذي لا ينضب،

أستاذي الفاضل خضر بولطيف.

كما أعرب عن امتناني وعرفاني بعظيم الفضل للأستاذ القدير  
عبد السلام همال على إسعافه لي بمصادر نادرة وهامة في البحث.

وفي الختام لا يفوتني أن أجزل الشناء لجنود الخفاء

الذين سهروا وتحملوا عبء كتابة وإخراج هاته المذكرة

ولم يرضوا إلا بالشكر بديلا أفراد أسرتي الكرام.

إلى كل هؤلاء أبث أعذب كلمات الشكر

وأهدي أجمل باقات المدح والإطراء ممزوجة بفائض الدعاء.

# إهداء:

إلى رمز شموخي، ومصدر قوتي، ومنار دربي،

إلى والدي الغالية.

إلى روح والدي التي تسامت في عليين، فأضحت الذكرى والسلوى،

والأنس والأنيس.

إلى الدرر الثمينة التي تشع صفاء ونقاء، إلى النجوم المتألئة

التي تسطع نورا وضياء.. إلى إخوتي الأعزاء.

إلى رفقاء مساري ومسعائي، زميلاتي وزملائي في قسم التاريخ.

إلى كل من نساه قلبي، ولم ينسأه قلبي، تحية عطرة ملؤها الإخلاص.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي علّها تكون نفحة طيبة

وذخيرة نافعة من عدّة وعتاد العلم والمعرفة.

# المقدمة

## 1- أهمية الموضوع وإشكالياته:

إنّ تاريخ المسلمين زاخر بالمنجزات والإسهامات المادية والحضارية التي جعلته يحتل الصدارة ويثبت التميز ويرفع سقف التحدي، وهذا نتيجة تمازج وتفاعل أجناس بشرية مختلفة اتخذت من وحدة العقيدة والإطار الجغرافي أفقا متساميا عن اختلافها الإثني، فصنعت على خطاه مجدا وعزا شامخا، تجلت مرتكزاته في تلك الصور الوضّاءة التي رصدها التاريخ، وارتسمت على صفحاته.

فيكفي أن ندرك أن فتح بيت المقدس قد تم على يد مسلم كردي، أو أن نلمح راية الإسلام ماثلة على أسوار القسطنطينية يرفعها تركي، أو أن نتذكر -فحسب- أن الأندلس قد انضوت تحت معسكر الإسلام ردحا من الزمن، بفضل سواعد بربرية كان لها شرف الفتح وقصب السبق، لتكتمل الصورة المشرقة بانتشار الإسلام، وتبلغ الأندلس أزهى عصورها في رحاب الحكم العربي. لكن ذلك ما كان يتحقق لو لا تعاضد وتلاحم جهود بشرية مختلفة إثنيا، حملت على عاتقها مهمة تصميم وبناء الأندلس فوق كل اعتبار.

لكن حينما تغيرت الظروف والمعطيات، وانقلبت الموازين، أصبح ذلك التشكيل الإثني بؤرة توتر تموج بالاضطرابات والقتائل، فهددت وجود واستقرار الكيانات التي انضوت تحت لوائها، وعاشت في كنفها.

ولأن هذا المشهد ارتسم بصورة جلية في الأندلس، فلقد أردنا أن نكون على كثر من هذه المفارقة التاريخية، فنتناول هذا الموضوع، لنستشف -من خلاله- تمثلات تلك المفارقة بشقيها الإيجابي والسلبي.

كل ذلك شغل تفكيرنا، وأثار اهتمامنا وفضولنا، فأردنا إخراجنا من حيز التفكير، ورغائب النفس، إلى مجال الدراسة العلمية الإشكالية، فتواردت علينا تساؤلات متشابكة، من قبيل:

- هل كانت الخريطة الإثنية (عرب/عرب، عرب/بربر، عرب/مولدون)، عاملا من عوامل التنوع والثراء، أم عاملا من عوامل الضعف والانحلال؟

- هل عبّرت الفتن والثورات التي شهدتها الأندلس عن أهداف ومرامي مشروعة، أم كانت مجرد نزعات ورغبات لم تعبّر حقيقة عن تطلعات المجتمع الأندلسي؟

- هل كان لخصيصة المجتمع الإسلامي بمنظومته القيمية المميزة أثر في صهر تلك المكونات، والاستجابة لتطلعاتها المشروعة، أم أن تباين المصالح وتضاربها كان هو المرجعية المهيمنة؟

## 2- المنهج والرؤية:

ولأجل فك رموز وأسرار هاته الإشكالات والتساؤلات، وتقريب الفهوم وإبراز وجهات النظر، كان اعتماد المنهج التاريخي خيارا لا مندوحة عنه، بصفته الموجه والمؤطر للآراء والأفكار من خلال آلياته المتنوعة، من رصد واستقراء للوقائع والأحداث، ونقد وتمحيص للروايات والأخبار، وتفسير وتعليل للمآلات والتداعيات.

## 3- هيكل الموضوع:

وحرصا على ضبط موضوع البحث، والتحكم فيه معرفيا ومنهجيا، ارتأينا الاقتصار على التجلّيات البارزة للبنى الإثنية الأندلسية، ما تأدى إلى توزيع النص على ثلاثة فصول:

ففيما خصصنا الفصل الأول للحديث عن الصراع بين شقي المكوّن العربي؛ أي فيما بين جذميه: القيسية واليمنية، حيث تطرقنا من خلاله لخلفيات الصراع، ثم لمظاهره، وانعكاساته.

فقد آثرنا في الفصل الثاني أن نتناول الفتنة البربرية كمعلم له دلالاته التاريخية في الخصام بين العرب والبربر، وكان لزاما علينا أن نلقي الضوء على غياهب الأصول الإثنية البربرية، قبل الخوض في صيرورة الصراع وآثاره.

ومتابعة لما سبق أفردنا الفصل الثالث لثورات المولدين باعتبارهم مكوّنًا عرقيا، يجمع بين الوفرة والتأثير، حيث أجملنا القول عن المولدين وثوراتهم؛ وخاصة ثورة ابن حفصون، قبل أن نقومّ طبيعة حضورهم في السياق الأندلسي سلبا وإيجابا.

#### 4- الدراسة النقدية:

وسعيا وراء تخريجات تتسم بالمصداقية والموضوعية، استندنا في إنجاز هذا البحث إلى مجموعة من المصادر والمراجع، تفاوتت في أهميتها العلمية، وكذا درجة أو نسبة توظيفها.

ومن بين أهم المصادر التي رافقتنا طوال البحث نذكر ابن خلدون (ت 808هـ/1406م) في كتابه "العبر"، ولكونه منظرا ورائدا للفكر التاريخي، فضلا عن خبرته الواسعة بالأنساب، فلقد لقيت آراؤه قبولا وحضورا في دراستي.

كذلك ابن عذارى المراكشي (حي سنة 712هـ/1349م) من خلال مؤلفه "البيان المغرب"، وبفضل ما اتسم به من إيجاز وتركيز، فقد وفرّ علي الجهد والوقت، وبرزت أهميته من خلال استعانتني به في فهم واستيعاب تاريخ الأندلس.

أما كتاب "أخبار مجموعة" لمؤلف مجهول، فإنه زودني بمعلومات نادرة ومفيدة، ليس أقلها حيثيات الصراع بين القيسية واليمينية.

إضافة إلى كتاب "المقتبس" لابن حيان (ت 469هـ/1076م)، باعتباره شاهداً عياناً على الفتنة البربرية، وكثير من أسفاره لا تزال في عداد المصادر المفقودة.

كما دعت الحاجة إلى توظيف عدد من كتب التراجم والطبقات، بصدد التعريف بشخصيات فاعلة ومؤثرة، ومن ذلك كتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي (ت 748هـ/1374م). كما أفاد البحث على نحو ما من كتاب "المعيار المعرب" للونشريسي (ت 914هـ/1508م)، خاصة في إجلاء بعض المواقف من ثورة ابن حفصون.

وللتعريف ببعض المواضع والمسالك الجغرافية، كان من الضروري اللجوء إلى كتب الرحلة والبلدان، على غرار كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي (ت 558هـ/1163م)، وكتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار" للحميري (ت 750هـ/1349م).

ولأن الهدف الأساسي للمراجع هو فتح فضاءات، وفسح مجالات رحبة للنقاش، وأيضاً شحذ ملكات التحليل، وتصفية الشوائب، وتطوير المادة المصدرية، لذلك فلا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها.

وإزاء الصعوبات التي تطرحها المصادر أحياناً، كان من الضروري المزوجة بينها وبين المراجع للتعاطي مع إفاداتها ومعطياتها.

وفي مقدمة المراجع التي أفاد منها البحث، نذكر: "دولة الإسلام في الأندلس"، لعبد الله عنان، والذي يعتبر موسوعة شاملة وقيمة لتاريخ الأندلس. وكذا "الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري"، لمحمد بن إبراهيم أبو الخيل، والذي له

صلة مباشرة بالفصل الثالث، ورغم رجوعي إليه، إلا أنه لم يزودني بآراء وترجيحات لثورات المولدين، إذ اكتفى باستعراض أهمها.

أما حسين مؤنس فإنه أفادني كثيرا بكتبه الثلاثة: "فجر الأندلس"، و"معالم تاريخ المغرب والأندلس"، و"موسوعة تاريخ الأندلس". ويكمن موضع الاستفادة منها، كونها تعطي تصورا شاملا لتاريخ الأندلس، من شأنه أن يرسم الخطوط العريضة للبحث موضوع الدراسة.

كما استأنست بعدد من الرسائل الجامعية التي تنبه الباحث على المظان الخبرية التي تخدم موضوعه.

وكل عمل علمي ينشد صاحبه أن يقدم الأفضل، لا بد وأن تتخلله فترات من التأمل والتفكير، حيال جملة من الصعاب والعراقيل، والتي تتلخص أساسا في كيفية لمّ شتات معلومات متفرقة، ومقتضبة أحيانا، وتقديمها للقارئ في صورة واضحة وبسيطة. على أنه لما تتكاتف الجهود، ويأخذ كل على عاتقه مهمة ومسؤولية الإنجاز، فسوف تُذلل الصعاب، وتتلاشى العقبات، وهو ما يستدعي بذل جزييل الشكر والامتنان لكل من ساندني، ومد لي يد العون، وفي مقدمتهم أستاذي المشرف لخضر بولطيف على اعتنائه، وحرصه، واهتمامه، ودعمه الواسع.

## الفصل الأول:

# الصراع بين القيسية واليمنية

أولاً: الخلفيات.

ثانياً: التجليات.

ثالثاً: الانعكاسات.

أقام العرب صرح دولة عظيمة امتدت حدودها من بلاد السند إلى أقاصي أوروبا. اتخذت من الدين الإسلامي منهاجا لها، ومن الجهاد أسلوبا، ومن الجيوش العربية عدّة وسلاحا. لكن هذه الدولة سرعان ما دبّ فيها الضعف والاضمحلال بسبب الصراع العصبي: القيسي اليماني الذي ظل ينخر جسمها.

### أولا- الخلفيات:

يعتبر الصراع بين القيسية واليمانية السمة البارزة التي طبعت تاريخ الدولة العربية الإسلامية مشرقا ومغربا. مما جعل كتابات المؤرخين تعج بفعاليات هذا الصراع وتفيض أقلامهم في سبيل إعطاء مسوغات له. وإذا أردنا فعلا كشف خبايا هذا الصراع وخلفياته فحري بنا أن نستعرض الممالك العربية التي قامت بالشرق وفي مقدمتها مملكة الحيرة والشام إذ كان الملك بهما لليمانية<sup>1</sup>.

غير أن الملك لم يكن السبب الوحيد في هذا الصراع لأنه سرعان ما آل لقريش لاحتضانها النبوة. أي أن هناك عاملا أكثر أهمية ومكانة عند العرب، وكان مثار تفاخر وتباهي ألا وهو اللغة، فلقد خبت لغة مضر وفسدت لمخالطتهم للأعاجم<sup>2</sup>.

لذلك كانت تنفس على القبائل اليمانية تلك المكانة والوجاهة، وما نستشفه مما سبق أن التمايز بين كلب وقيس (القيسية واليمانية) كان موجودا في القديم، غير أنه

<sup>1</sup> أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2000م، ج2، ص287.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص765.

لم يتجسد في صورة عدائية إلا بعد مصاهرة قبائل كلب للبيت الأموي الحاكم - معاوية ويزيد- وبالتالي نالت بذلك سمو ورفعة<sup>1</sup>.

وتأصلت العداوة بعد معركة الحرة 63هـ، ثم مرج راهط التي دارت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس\*، بسبب رغبتهما في انتزاع منصب الخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية. جرت وقائع المعركة على أرض مرج راهط بدمشق سنة 64هـ/638م، ودامت لمدة عشرين يوماً، وأسفرت عن هزيمة قاصمة للقيسيين، ونصر مؤزر لليمنيين. وتم التنكيل بالقيسية وفي مقدمتهم الضحاك الذي لقي حتفه رفقة رهط عظيم<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المعركة كان لها آثار خطيرة في انبعاث العداوة والخصومة التقليدية، وإشعال لهيب الفتنة في سائر أنحاء الدولة العربية، ولم يشذ الأندلس عن هذا الصراع<sup>3</sup>.

### ثانياً- التجليات:

إن المتأمل في تاريخ الأندلس يرى أنه هو الآخر نال قسطاً وافراً من هذا الصراع، فلقد هبت كوامن الخصومة والمنافسة من مرقدتها وعادت تعصف بوحدة

<sup>1</sup> يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، مراجعة حسين مؤنس، ط2، نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م، ص176-177.

\* الضحاك بن قيس: هو أبو أمية الفهري القرشي من صغار الصحابة. انظر شمس الدين محمد أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1981م، ط2، 1982م، ج3، ص241.

<sup>2</sup> أبو الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، ط2، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2001م، ج3، ص77-78؛ وشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج21، ص52-53.

<sup>3</sup> السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص393.

المجتمع الإسلامي في الأندلس، باعتباره مجالاً فسيحاً متتائياً عن مركز الخلافة الأموية<sup>1</sup>.

فلقد كان جيش موسى بن نصير عند استكماله فتح الأندلس مؤلفاً من أهل الشام والعرب، وكان جلهم من القبائل التي فرقت شملها العصبية والتي كانت كل واحدة منها تلتق برائتها و شعارها<sup>2</sup>.

غير أن هذا الصراع تأجج في فترة حكم الولاة الذين تجاوزوا العشرين واليا، لذلك لا يسعنا المقام هنا لذكرهم جميعاً، لذا سنعمل على استجلاء هذه المظاهر من خلال ولايتي عبد الملك بن قطن -الثانية- وأبي الخطار؛ لأنها برزت بشكل واضح في عهدهما.

ونظراً لأن تاريخ الأندلس مرتبط أشد الوثاق بتاريخ المغرب فلا نستطيع دراسته بمنأى عن حوادث المغرب، فالصراع العربي البربري بالمغرب أفضى إلى دلوف الشاميين إلى الأندلس بزعامة بلج بن بشر القشيري مستجدين بوالها آنذاك عبد الملك بن قطن الفهري (ت 124هـ/741م) الذي تولى الأندلس حينها للمرة الثانية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ط4، "العصر الأول"، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص69

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح إفريقيا والأندلس، تحقيق وتقديم، عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة، دار الكتاب اللبناني، 1964م، ص21.

<sup>3</sup> أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان وليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ج2، ص30-31.

ولقد ارتاب منهم في بادئ الأمر لكن ثورات البربر بالأندلس جعلته يعدل عن قراره ورأى أنه لابد من الاستعانة بالشاميين أصحاب بلج، ولو لفترة مؤقتة لدرء هذا الخطر<sup>1</sup>.

وأردف ابن قطن شروطا لولوج الشاميين إلى الأندلس منها أن يعطوه عشرة رهائن كضمان للاتفاق، وعند انتهائهم من محاربة البربر يتولى جلبهم إلى إفريقية<sup>2</sup>. غير أن الشاميين لم يلتزموا بشروط هذا الاتفاق واقترحوا على عبد الملك ابن قطن إجلاءهم إلى عامل البيرة أو تدمير بدل إفريقية<sup>3</sup>، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عمدوا إلى إخراج عبد الملك بن قطن من قصره بقرطبة<sup>4</sup>.

وفي هذه الأثناء والظروف يبدأ دور الصراعات والمواجهات، فلقد قام حاكم الجزيرة الخضراء المعين من قبل عبد الملك ابن قطن بقطع الطعام والشراب عن الرهائن العشرة سألقي الذكر ونتيجة لذلك مات أحدهم وهو رجل غساني من أشرف دمشق من الشاميين<sup>5</sup>.

أراد الشاميون\* الانتقام لمقتل الغساني فألحوا على بلج بن بشر كثيرا غير أنه تكلأ ريثما تستقر الأمور، إلا أنه سرعان ما رضخ لمطلبهم فقتل عبد الملك بن قطن. وعبروا عن حقدهم الدفين له بقولهم: "أفلت من سيوفنا يوم الحرة فطلبتنا بثأرنا في

<sup>1</sup> أشرف يعقوب أحمد أشتيوي: الأندلس في عصر الولاة (91هـ-138هـ/711-756م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2004م، ص117.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، 1989م، ص43.

<sup>3</sup> ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص30-31.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج2، ص31.

<sup>5</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص44.

\* العرب الشاميون: هم العرب الذين أتوا مع بلج بن بشر القشيري.

أكل الدواب، والجلود ثم أردت إخراجنا إلى القتل"، وكان ذلك في مظهر ملؤه الخزي والمهانة<sup>1</sup>.

واستمرت الأحقاد والحزازات بعد موت عبد الملك بن قطن، ففي سنة 124هـ/742م كانت حرب شديدة بين بلج وأمّية وقطن ابني عبد الملك؛ فلقد ثار الابنان انتقاما وذودا عن حقهما ومطالبة بدم أبيهما، فاستجدا بأهل الأندلس والبربر، واجتمع لهما عدد كثير قيل بأنه مائة ألف مقاتل<sup>2</sup>.

وما يفسر هذا الالتحام والاتحاد بين ابني عبد الملك بن قطن والبربر والبلديين\* أنهم كانوا يتطلعون للانتقام من الشاميين<sup>3</sup>.

وبعد عملية التجهيز والتعبئة التقى الجيشان في موضع بالأندلس يقال له "أقوه برطورة"، واستبسل الجيشان في القتال لينجلي في الأخير عن هزيمة قاصمة للتحالف القيسي البربري<sup>4</sup>. وتوفي بلج بن بشر أثناء المعركة<sup>5</sup>.

ولما رأى أبو الخطار هذا المشهد هاله الأمر فكتب إلى هشام بن عبد الملك بهذه الأبيات:

أَفَاتَمَ بَنِي مَرْوَانَ قَيْسًا دِمَاءَنَا      وَفِي اللَّهِ إِنْ لَمْ تُتْصِفُوا حُكْمَ عَدْلٍ\*

<sup>1</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص45؛ وابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص32.  
<sup>2</sup> أبو الحسن علي بن محمد الجزري بن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج4، ص446.

\* العرب البلديون: هم طلائع الفتح الذين قدموا إلى الأندلس مع طارق بن زياد.  
<sup>3</sup> حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (138-316هـ/755-928م)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص8.

<sup>4</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص46-47.

<sup>5</sup> مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، مدريد، 1983م، ج1، ص102-103.  
\* هذا الشعر يحمل كثيرا من التبعج والافتخار والإشادة بمآثر كلب في معركة مرج راهط، وهو الذي عمق هوة الخلاف والشقاق بين العصبيتين، وكانت له اليد الطولى في تغيير الخارطة السياسية للأندلس.

كَأَنَّكُمْ لَمْ تَشْهَدُوا مَرَجَ رَاهِطٍ      وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كَانَ لَهُ الْفَضْلُ<sup>1</sup>

فما كان من هشام بن عبد الملك إلا أن طلب من والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي أن يولي أبا الخطار حكم الأندلس<sup>2</sup>.

سلك أبو الخطار سياسة قويمة في بداية عهده، استطاع من خلالها رَأب الصدع واستتباب الأمن، إذ عمل على تفريق أهل الشام على كور الأندلس<sup>3</sup>، لكن وباء العصبية الذي استشرى في العروق سرعان ما نبض، فيكفي فقط أن يجد من يثيره.

فكان ذلك الشخص ابن عم أبي الخطار الذي اختصم مع رجل من كنانة كان أبلغ حجة من أبي الخطار لكن أبا الخطار مال مع ابن عمه، فلم يجد الكناني مناصا لرفع هذا الحيف إلا الإقبال على الصميل بن حاتم الكلابي -أحد سادات مضر- وتقديم شكوته إليه، فعز على الصميل ما فعله أبو الخطار فدخل عليه وعاتبه على صنيعه فأغلظ أبو الخطار في الرد عليه<sup>4</sup>.

فأراد الصميل رد الاعتبار لنفسه ومحو ما لحق به من الذل والعار، فخطط للانتقام من أبي الخطار، فحشد كل حزب أنصاره وأتباعه، وتجهزوا للمعركة التي وقعت رحاها بالقرب من مدينة شقندة سنة 130هـ/747م<sup>5</sup>.

ولقد بالغت المصادر في وصف روعتها فقد أورد ابن عذارى ما يلي: "فالتقت بشقندة الفتتان، وتصاعدت الفرقتان، فلا تسمع صهيلا وصليلا، ولا ترى قتيلا، حتى

<sup>1</sup> أبو عبد الله محمد القضاءي البننسي بن الآبار: الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط2، 1985م، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص64-65.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص65.

<sup>3</sup> أحمد بن محمد المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج1، ص221-222.

<sup>4</sup> المقرئ: نفع الطيب، ج3، ص23.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ج2، ص91.

تكسرت الخطية، وتقلت المشرفية، والتفت الساق بالساق، وانضمت الأعناق إلى الأعناق، فلم يعهد مثلها في المسلمين بعد حرب الجمل وصفين<sup>1</sup>. ووصمها صاحب أخبار مجموعة بقوله هي: "الفتنة العظمى بالأندلس"<sup>2</sup>.

ولا يخامرنا شك في ذلك إذا علمنا أن الصميل استطاع استمالة أهل الصناعات إلى صفه، فكانوا قرابة 400 رجل، كانوا مشهرين السكاكين والعصي وعمدوا إلى مباغطة اليمانية<sup>3</sup>. وانحسنت نتيجة المعركة لصالح القيسية، وتم قتل أبي الخطار<sup>4</sup>.

وأمام هذه الهزيمة النكراء لليمانية تم إبعادهم عن الساحة السياسية واندثرت أخبارهم، إلى غاية قدوم عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس حينها التفوا حوله وشايعوه لأن الحكم آنذاك كان ليوسف الفهري<sup>5</sup>؛ أي أن التحالف يعزى للمصلحة المبتغاة إذ توقع اليمانيون أن عبد الرحمان الداخل سيعمل بما يوائم مصلحتهم وطموحاتهم في الاستئثار بالحكم والسلطة<sup>6</sup>.

لذا لم يجدوا غضاضة في الاحتفاء بقدمه، خصوصا لما خطط للإيقاع بوالي الأندلس يوسف الفهري وإزاحته من منصبه، وكان ذلك في وقعة المصاراة والتي كانت مضارعة لمعركة مرج راهط. فلقد عبر عبد الرحمان الداخل عن تفاؤله بنتائج المعركة بقوله: "يوم عيد وأموي مع فهري... أبشروا فإني أرجو أنها أخت وقعة مرج راهط"<sup>7</sup>. وقد أزهقت خلالها أرواح كثيرة بلغت ثلاث آلاف شخص<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص36.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص59.

<sup>3</sup> المقرئ: نفح الطيب، ج3، ص25-26.

<sup>4</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص40.

<sup>5</sup> المقرئ: نفح الطيب، ج1، ص328-329.

<sup>6</sup> حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مكتبة الحسين، مصر، 1994م، ص96-97.

<sup>7</sup> ابن الأبار: الحلة السيرة، ج2، ص348.

## ثالثاً - الانعكاسات:

كان للصراع بين القيسية واليمانية آثار وخيمة على مسار الأندلس شملت جميع المجالات، ففي الجانب السياسي، كان تتابع الولاة سبباً في تفاقم الخلل والاضطرابات في شؤونها.

فقد تولى الأندلس -خلال حكم الولاة- عشرون والياً في فترة تقل عن نصف قرن منهم من مكث عدة أشهر، ومنهم من استمر بضع سنوات<sup>1</sup>. وكان هذا التداول مشجعاً للفرنج على مهاجمة القواعد الشمالية للأندلس<sup>2</sup>. فكانوا يتحينون الفرصة للانقضاض على العرب واسترجاع ملكهم التليد بالأندلس، فبعد معركة شقندة ثار الفرنج على المسلمين، واستفحل أمر بلايو فغلب على أستوريش، وأخرج المسلمين منها<sup>3</sup>. وتراجعت الروح العسكرية وانهمك الجند في اللهو والموادعة<sup>4</sup>.

ففي عهد الوالي عنبسة الكلبي توقفت الفتوحات بسبب نشوب الفتن والثورات الداخلية<sup>5</sup>، إضافة إلى انشغال الخلافة الأموية في دمشق بالثورة العباسية<sup>6</sup>.

<sup>8</sup> أحمد بن عمر بن أنس العذري بن الدلائي: نصوص عن الأندلس، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، "د.ت"، ص 05.

<sup>1</sup> حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، مصر، 2003م، ص 240.

<sup>2</sup> عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 83.

<sup>3</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص 261؛ وابن عذارى، البيان المغرب، ج 2، ص 37-38.

<sup>4</sup> طارق السويدان: الأندلس التاريخ المصور، ط 1، شركة الإبداع الفكري، الكويت، 2005م، ص 64.

<sup>5</sup> عبد الرحمان على الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، ط 2، دار القلم، دمشق - بيروت، 1982م، ص 191.

<sup>6</sup> خزعل ياسين مصطفى: بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة، أطروحة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2004م، ص 22.

وفي ظل هذه الظروف لجأت الخلافة الأموية إلى استيعاب وتقريب جماعة دون أخرى لتحفظ صولتها ومكانتها<sup>1</sup>.

ومهما تعددت تفاسير ورؤى هذا الصراع، فلا غرو أن مناطه الأساسي هو النزاع على الملك والرياسة<sup>2</sup>.

وقد لا نجد تعبيراً أبلغ من قول ابن خلدون: "ثم إن الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية، فيقع فيه التنافس غالباً، وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه"<sup>3</sup>.

غير أن الجانب الإيجابي لهذا الصراع يكمن في تكون أجناد من الشام، كانت من العناصر الأساسية للجيش الأندلسي في زمن أبي الخطار بن ضرار الكلبى 743هـ/125م<sup>4</sup>.

أما بالنسبة للجانب الاقتصادي فلا ريب أنه هو الآخر تأثر بمجريات هذا الصراع، فتردي الاقتصاد بدا واضحاً لعدم وجود الاستقرار السياسي، بالإضافة إلى توالي سنوات القحط والجوع. لذلك نزل أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا بالمغرب الأقصى. حتى أن تلك السنين لشدها سميت بسني وادي البرباط بسبب هروب أهل الأندلس لجهة وادي يقال له وادي البرباط بكورة شذونة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> حسين مؤنس: فجر الأندلس، ط1، دار المناهل، بيروت، 2000م، ص211-212.

<sup>2</sup> حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي، ص87.

<sup>3</sup> ابن خلدون: العبر، ج1، ص193-194.

<sup>4</sup> حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م، ج1، ص35، 37.

<sup>5</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص61-62.

كما أن البربر المقيمين بالشمال تركوا أراضيهم، ونزحوا لمناجزة العرب، فخلت الأراضي من السكان وأفقرت المزارع تبعا لذلك، وعمت الأندلس مجاعة سنة 124هـ/741م<sup>1</sup>.

وفي المجال الاجتماعي كانت الخصومات بين مضر وحمير تمزق أوصال الوحدة العربية وتقوض دعائمها، بل تطعننا طعنة نجلاء، فتهاوت بذلك العلاقات الاجتماعية<sup>2</sup>. ودخلت نفقا مظلما غابت فيه الأعراف والقيم الإنسانية وطغت السخائم والنعرات القبلية، فلم تشفع السنون الطوال لتتاسي أو تلتافي تلك الأحقاد والضغائن وما أن سنحت الفرصة انبرى هذا الشقاق والخلاف وطفا إلى السطح مستحلا الحرمان. فلقد خضبت أرض الأندلس بدماء سفكت بدافع رواسب الكراهية والغل<sup>3</sup>.

وما يعضد هذا الطرح أن رجلا من اليمانية اختصم مع آخر من المضرية لسبب بسيط أو أقل أن يقال عليه تافه، إذ أن اليماني استقى من وادي لورقة قلة ماء وأخذ ورقة من دالية فجعلها في فم القلة فنهاء المضري بدعوى أنه صنع ذلك لإهانته إذ قطف الورقة من كرمته، فتقاتلا حتى غلا الأمر بينهما ولقي اليماني حتفه<sup>4</sup>. وأوشكت هذه الأحقاد والضغائن أن تقضي على دولة الإسلام في الأندلس، لو لا أن الأقدار سخرت لهذا القطر الفسيح عبد الرحمان الداخل الذي أحكم بزمام الأمور بمنتهى الصرامة والحنكة، فانقاد له العصاة وتذلل له الأباة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 25؛ ومؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص38، 40، 72.  
<sup>2</sup> أبو مروان حيان بن خلف بن حيان الأندلسي: المقتبس في تاريخ الأندلس (عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام) تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب 1990م، ص74.

<sup>3</sup> منى حسن محمود: المسلمون بالأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ص33.

<sup>4</sup> ابن الدلائي: نصوص عن الأندلس، ص06.

<sup>5</sup> المقرئ: نفع الطيب، ج1، ص33.

## الفصل الثاني:

# الفتنة البربرية

أولاً: البربر وأصولهم الإثنية.

ثانياً: تعايش العرب والبربر في الأندلس.

ثالثاً: الاحتكاك العربي البربري وتداعياته.

يعد العنصر البربري من أهم المكونات البشرية للخريطة الإثنية بالأندلس، وقد حظي هذا العنصر المتوطن بالأندلس بالاهتمام والدراسة من لدن العديد من الباحثين، غير أن تركيزهم انصبَّ على رصد الفعاليات السياسية التي شكل البربر طرفاً مؤثراً فيها والتي غيّبت -بداهة- جانبهم الإيجابي.

ولم تقف هذه الدراسات التاريخية على حقيقة الصراع بين العرب والبربر، فيما إذا كان صراعاً إثنياً خالصاً تكرر بفعل تنافرات واختلافات عرقية سرعان ما برزت بينهما، أم أن هناك عوامل أخرى عملت على إذكائه، فهزت بذلك كيان الأندلس وشنجت عرى وحدته.

وقبل الخوض في هاته الاستشكالات لا حرج من أن ننفق هنيهة لإلقاء نظرة عامة حول البربر ومشاربهم العرقية.

### أولاً- البربر وأصولهم الإثنية:

شكل موضوع البربر محور اهتمام المؤرخين القدامى والمعاصرين على حد سواء، نظراً لما يكتنف هذا التشكيل الإثني من غموض والتباس من زاوية التسمية والأصل. ولإمارة اللثام عن هذا الاختلاف والتضارب ارتأينا عرض مزيج من الأخبار والأنظار التي سيقنت حول البربر والتي تعنى بالتسمية والانتماء الإثني.

### 1- البربر "الدلالة والاصطلاح":

يحمل مدلول كلمة "البربر" عند العرب الكلام غير المفهوم، ومنه بربر الأسد أي زار بأصوات غير مفهومة. وقيل إن أول من وظف هذه اللفظة عبر التاريخ هو

إفريقيش\* عند قدومه إلى المغرب وسماعه لرطانة السكان، إذ قال في شأنهم: "ما أكثر بربرتهم!"<sup>1</sup>. كما نظم فيهم شعرا<sup>2</sup>.

ويرى البعض أن كلمة بربر تكرر لكلمة "بر"؛ وتعني الصحراء بلغة العرب<sup>3</sup>.

أما اصطلاحا فالبربر هم طائفة من العربان غير الذين هم في المغرب يتمركزون بين الحبشة ومواطن الزنج. وهم قبائل كثيرة في جبال المغرب، وعموما تمتد بلادهم من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا فبلاد السودان جنوبا<sup>4</sup>.

## 2- الأصول الإثنية للبربر:

دلّت العصور الحجرية أن أول إنسان ظهر على وجه الأرض قد عاش في شمال إفريقيا، لكن التساؤل والإشكال الذي ظل يلزم المؤرخين هو معرفة الجنس الذي ينتمي إليه، ومن ثم معرفة الموطن الذي ينحدر منه وفي هذا المضمار ظهر اتجاه يرى أن البربر وافدون على المغرب بفعل الهجرات سواء الهندية أو الفارسية<sup>5</sup>.

\* هو إفريقيش بن قيس صيفي من ملوك التباغة، انظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص117.

<sup>1</sup> أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، ص29.

<sup>2</sup> من ذلك قوله:

بَرَبْرَتُ كَنْعَانُ لَمَّا سَفَتْهَا مِنْ بِلَادِ الضَّنْكَ إِلَى الْعَيْشِ الْخَصِيبِ

انظر مؤلف مجهول: مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباوية، ط1، دار أبي الرقراق، المغرب، 2005م، ص196.

<sup>3</sup> الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج1، ص34.

<sup>4</sup> أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1، ص343، 368.

<sup>5</sup> عثمان الكعاك: البربر، منشورات تالة، ص50

لكن ما يؤخذ على أصحاب هذا الرأي أنهم أرادوا القضاء على الخصوصية المغربية بجعل سكانها أجنب، فلا يمكننا أن نعتد بمميزات وطبيعة البشر -كالهجرة مثلا- في إثبات نسب البربر، لذا لا نستطيع الاستناد على فرضيات الأوربيين، لأنها لا تؤدي إلى نتيجة قطعية، فلا بد لنا من استنطاق المصادر العربية التي توصلنا إلى رأي مغاير.

ولكن قبل ذلك لا ضير أن نعرّج على منشأ البشر، فنستقي من القصص القرآني ما يجزم أن آدم -عليه السلام- هو أول من خلقه الله -عز وجل- من البشر، ثم نشأت من ضلعه الأيسر زوجه حواء، ومنهما معا تناسل البشر الذين هلكوا إبان الطوفان، في عهد نوح -عليه السلام- فلم يسلم منه إلا من هرع راكبا السفينة، ولم يخلد بالمعمورة إلا أبناءه. مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾\*.

ولقد اتفق العلماء والمؤرخون على أن من أبناء نوح انبثقت شعوب العالم، لكنهم اختلفوا في المناطق التي احتوت كل نسل أو صنف، وكان بالضرورة اختلاف تحديد نسب البربر. فهناك من نسبهم إلى حام بن نوح، ومن أنصار هذا الرأي ابن كثير وابن الجوزي اللذان يريان أن ولد سام هم العرب وفارس والروم، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حام القبط والسودان والبربر<sup>1</sup>.

\* سورة الصافات، الآية رقم 77.

<sup>1</sup> أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج1، ص247؛ وأبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ج1، ص269-270.

غير أن هناك لفيفا من المؤرخين نسب البربر إلى سام بن نوح -عليه السلام- وما يروى في هذا الصدد "أن البربر من ولد فاران بن عمليق بن يلمع بن عامر بن اشليخ بن لاوذ بن سام بن نوح"<sup>1</sup>.

ومن الروايات التي تناقلها المؤرخون أن البربر قدموا إلى المغرب بعد قتل ملكهم جالوت على يد داوود فتنفرقت بنوه وقصدت طائفة منهم بلاد المغرب<sup>2</sup>.

لكن البربر يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس بن عيلان<sup>3</sup>. فقط صنهاجة انتحلت النسب اليمني بصفتها من ولد إفريقش بن صيفي أحد ملوك حمير القدامى<sup>4</sup>. ويحسن الذكر أن ابن خلدون استطاع تنفيذ الآراء السابقة، فاعتبر رد نسب البربر إلى العمالقة أو ولد جالوت من الخرافات، لأن البربر انفردوا بأقاليمهم، واختصوا بشعاراتهم منذ أزمنة موهلة في القدم<sup>5</sup>.

وخلص ابن خلدون بعد نقده لآراء النسابة إلى رأي مفاده أن البربر من ولد كنعان بن حام بن نوح، وأن اسم أبيهم مازيغ، وإخوتهم أركيش وفلسطين<sup>6</sup>. في حين

<sup>1</sup> ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص368.

<sup>2</sup> أبو الفدا عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، ج1، ص97؛ ومؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص195.

<sup>3</sup> ابن خلدون: العبر، ج6، ص124.

<sup>4</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص62.

<sup>5</sup> ابن خلدون: العبر، ج6، ص126-127.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ج6، ص127.

لم يقر ابن حزم الأندلسي عمدة النسابة أصل البربر، إلا أنه دحض الآراء التي تخولهم النسب العربي<sup>1</sup>.

ومن الآراء التي روج لها المؤرخون المحدثون حول أصول البربر أنهم من أصول محلية، إذ أن الدراسات التي أجريت على عينات من الحمض النووي لعدد من سكان شمال إفريقيا أثبتت أن معظم المغاربة من الأمازيغ أو العرب يحملون الصفة E2 B2 التي يختص بها نوو الأصول الأمازيغية بصفة عامة<sup>2</sup>.

وما نستخلصه مما سبق أن هذا التباين والاختلاف حول أصول البربر يدل على عدم دقة النتائج، ونسبية الحقائق، مما يفتح نوافذ أخرى للبحث والتقصي حول انتمائهم العرقي. لكن انتماءهم الإسلامي لا يمكن لأي مؤرخ إنكاره، لأن البربر وضعوا بصماتهم وصاغوا وجودهم مع العرب منذ البدايات الأولى لاعتناقهم الإسلام، إذ نلاحظ ذلك بوجه صريح في الأندلس.

### ثانياً - تعايش العرب والبربر في الأندلس:

شكل الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس بداية عهد جديد في تاريخ المسلمين، استطاعوا من خلاله حمل لواء الإسلام وإرساء دعائمه خارج النطاق الجغرافي للعرب، ويعود الفضل في ذلك لجهود البربر الذين حملوا عبء هذا الفتح، إذ كان معظم جيش طارق بن زياد عندما فتح الأندلس من البربر<sup>3</sup>.

ولقد حدده بعض المؤرخين بـ 10.000 فارس من مجموع 12.000. وبالرغم من ضخامة هذا الجيش إلا أنه لم يتمكن من التوغل داخل الأراضي

<sup>1</sup> أبو محمد علي بن محمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، مصر، "د.ت"، ص494.

<sup>2</sup> مزوزية حداد: "إثنولوجية البربر"، مذكرة ليسانس، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2008م، ص33.

<sup>3</sup> ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص06.

الإسبانية، لذا اضطر طارق بن زياد لطلب المدد من موسى بن نصير الذي اصطحب معه أشرف العرب ووجهائها<sup>1</sup>، وكان على رأسهم موسى بن محمد بن آوس<sup>2</sup>.

وبذلك تمكن القائدان من استكمال عملية الفتح برفقة الجيوش العربية والبربرية حتى دانت الأندلس لحظيرة الإسلام. أما يروى حيال التقاء موسى بطارق بن زياد من مظاهر الحسد والاختصاص فلا تعدو أن تكون ترهات استبعدها جل المؤرخين، لأن الغاية من فتح الأندلس أسمى من كونها مكاسب مادية<sup>3</sup>.

وبعد عملية الفتح استقر العرب بالحوضر، أما البربر فمن كان من أهل الحاضرة استقر في المدن، ومن كان من أهل البادية استقر في القرى<sup>4</sup>. وجرى هذا التقسيم برضى واختيار الطرفين<sup>5</sup>.

إذ فضل العرب السكن في سهول قرطبة لأن هذه الأماكن مشابهة لبلادهم في المشرق، في حين انزوى البربر بالقسم الجنوبي والهضاب الوسطى، لأن مناخ هذه البلاد وطبيعة أرضها -التي تكاد تكون كلها مراعي- مشابهة لبلادهم في المغرب الأقصى<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> مؤلف مجهول: تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ص153، 155.

<sup>2</sup> أحمد بن حيان بن أحمد بن عميرة الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989م، ج1، ص29.

<sup>3</sup> عبد الواحد ذنون طه وآخران: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2000م، ص38.

<sup>4</sup> إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص25.

<sup>5</sup> عبادة بن عبد الرحمن رضا كحيلية: الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995م، ص36-37.

<sup>6</sup> محمد سعيد الدغلي: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، ط1، منشورات دار أسامة، الأردن، 1984م، ص15.

ولا شك أن هذا التوزيع الجغرافي سرعان ما تغيرت معالمه بازدياد الهجرات العربية التي كانت تفر إلى الأندلس على شكل طوابع. أولها طالعة موسى بن نصير -كما ذكرنا آنفا- إضافة إلى طالعة الحرّ بن عبد الرحمن الثقفي، الذي جلب معه وجهاء إفريقية من العرب<sup>1</sup>.

ثم توالى الهجرات مع قدوم بلج بن بشر القيسي إلى الأندلس سنة 123هـ/740م، والتي بلغ تعدادها عشرة آلاف شخص غالبيتهم من القيسين<sup>2</sup>. وخاتمتها هي طالعة أبو الخطار التي تفرقت على نواحي الأندلس<sup>3</sup>.

وإذا أمعنا في استقراء المصادر التاريخية فإنها تثبت أن الهجرات العربية إلى الأندلس ظلت مستمرة على عكس الهجرات البربرية، مما جعل تواجد الجذمين "البربر والعرب" يبدو غير متكافئ، وربما هذا ما حدا ببعض المؤرخين إلى اعتبار أن الاشتباك العربي البربري سببه تزايد العنصر العربي، وانتزاعه الأراضي الخصبة.

لكن ما يفند هذه الآراء أن أراضي الأندلس الشاسعة، وخيراتها الوفيرة، بإمكانها تلبية حاجة الجنسين معا. ثم إن البربر كانوا الأسبق إلى دخول الأندلس ومعرفة أحوازها. فضلا على أن الأنهار وجدت بالأراضي التي يقطنها البربر لذلك امتنوا الفلاحة والزراعة<sup>4</sup>، أضف إلى ذلك أن اتحاد البربر مع العرب البلديين ضد الشاميين يدحض جل المزاعم.

<sup>1</sup> ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص16.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص42-43.

<sup>3</sup> المقري: نفع الطيب، ج1، ص221-222.

<sup>4</sup> ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص24.

قصارى القول أن الصراع العربي البربري بالأندلس تحكمه محددات وضوابط أخرى، أرجأنا تناولها في المبحث الموالي.

### ثالثاً- الاحتكاك العربي البربري وتداعياته:

#### 1- الأسباب والمظاهر:

يعد الصراع العربي البربري إحدى حلقات الصراع المستديم بالمغرب، ولقد امتزجت عدة عوامل لاستثارته من مهده وبعثه بالأندلس، يأتي في طليعتها خصال البربر التي مكنتهم من الاستماتة في الدفاع عن حقوقهم، ومن ضمنها الشجاعة والإقدام والتضامن، فالبربر لم يألوا جهداً في الثورة على حاكم الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي، لما تناهت لمسامعهم ثورة البربر بالعدوة المغربية<sup>1</sup>.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل لجؤوا إلى إخراج عرب جليقية وأسترقية، وإهدار دمائهم، نكاية في عرب المغرب الذين ساموا إخوانهم البربر صنوف التعسف والإجحاف<sup>2</sup>، مما سطرته أقلام الكثير من المؤرخين، والذي يصب جميعه في قالب السياسة الجائرة التي انتهجتها الدولة الأموية، والتي فحواها تهميش وإقصاء البربر، وإتقال كاهلهم بالضرائب<sup>3</sup>. وقد تولى زعامة هذه الثورة ميسرة المطغري، الذي سرعان ما بويع بالخلافة من طرف البربر الذين انضوا في حزبه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص75؛ وأبو بكر محمد بن عمر بن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989م، ص39.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص42-43.

<sup>3</sup> ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص51-52.

<sup>4</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص416-417.

وبالرغم من أن هذه الثورة لم تؤت ثمارها في رفع الضيم المرتكب ضد البربر، لكنها شكلت منعرجا خطيرا في تاريخ العرب، كونها أعطت دفعا قويا لبربر الأندلس لاستئناف نشاطهم الثوري الذي ناهز مثيله بالمغرب.

ولكشف الستار عن أسبابه ودوافعه، ارتأينا عرض ثورتين حملتا أبعادا ومعاني مماثلة، الأولى ثورة أصبغ بن عبد الله بن واسنوس التي اندلعت بماردة\* سنة 190هـ/805م أيام الحكم الربضي، وكان سببها أن بعض الوشاة أوقعوا بينه وبين الأمير الحكم بن هشام" الربضي"، لذلك خرج الحكم من قرطبة لقتاله<sup>1</sup>.

أما فيما يخص الثورة الأخرى هي ثورة الفقهاء سنة 189هـ/804م، وكانت هي الأخرى زمن الحكم الربضي، وبدأت الثورة في شكل مؤامرة دبّرت لخلعه، وكان سببها أن الفقهاء شعروا بتصدع نفوذهم القديم الذي كان في عهد أبيه هشام الرضى بن عبد الرحمن الداخل.

شملت الثورة تركيبة إثنية مختلفة من ضمنها العرب والبربر، فكان من العرب مالك بن يحيى بن يزيد التجيبي، وموسى بن سالم الخولاني، ومن البربر يحيى بن يحيى الليثي، لقيت هذه الثورة رواجاً واحتضاناً من طرف أهل قرطبة لما كان يبيده الحكم من ترفع عن الشعب<sup>2</sup>.

لكن هذه الثورة لم تنجح، إذ اكتشفت مؤامرتها قبل نضجها، وقبض الحكم على عدد كبير من المتآمرين واستطاع بعضهم الفرار، وأعدم الحكم منهم 72 رجلاً، وأبدى في إعدامهم قسوة بالغة، وهذا ما أثار حفيظة وسخط العامة<sup>3</sup>.

\* ماردة مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلا، انظر محمد عبد المنعم الحميدي: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م، ص518.

<sup>1</sup> ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص72.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج2، ص71.

وإذا أمعنا في استقراء المصادر التاريخية، فإنها تكشف بما لا يدع مجالاً للشك أن مظاهر الصدام والمواجهة كانت في بعض الأحيان الميزة والطابع الأساسي للأندلس، غير أنه سرعان ما امتزج بمظهر آخر تجسد في الدسائس والمكائد التي حيكت للاستئثار بلقب الخلافة، فبعد زوال الحكم العامري عمد محمد بن هشام بن عبد الجبار إلى الحجر عن الخليفة الشرعي هشام المؤيد وتسمى بالمهدي<sup>1</sup>.

وكان من تبعات سلوكه أن أضنى البربر بفرضه الفياء عليهم وأغمط حقهم في المقام بقرطبة، مما جعل البربر ينفرون منه بل يخلعونه وينصبون مكانه سليمان بن عبد الرحمن الناصر<sup>2</sup>، رغبة منهم في تحقيق مآربهم في الانتقام والثأر لكرامتهم التي ديسست وسحقت من قبل، لذا قصدوا قرطبة وعاثوا فيها الفساد وصيروا المدائن إلى بيداء وقفار<sup>3</sup>.

وما نستشفه مما سبق أن مظاهر الوحدة الدينية والجغرافية للأندلس سرعان ما تداعت أمام الاختلافات الإثنية والمصالح الشخصية، التي حملت في ثناياها آثارا وانعكاسات على تاريخ الأندلس على الصعيد الاجتماعي والحضاري وكذا السياسي على ما سيتم ذكره.

## 2- الآثار والنتائج:

بعد رصدنا وتتبعنا لمظاهر الصراع العربي البربري بالأندلس والذي بدأ في شكل ثورات شعبية، تبين أن سببها تجاوزات بعض الخلفاء الأمويين عندما غلبوا

<sup>3</sup> ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص335-336.

<sup>1</sup> لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ص111.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص200؛ والضبي: بغية الملتمس، ج1، ص44.

<sup>3</sup> محي الدين بن علي التميمي عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ص47-48.

أهواءهم ومصالحهم الشخصية على المصلحة العليا للدولة لذلك كانت الثورات لا تهدأ، وربما قمعها بتلك الطرق العنيفة هو ما ساهم في إنكائها وجعل الأندلس تصطبغ بألوان المواجهات التي لم تخدم إلا في بعض الفترات، منها فترة عبد الرحمن الناصر<sup>1</sup>، والذي انتهج سياسة العدل والحزم مع مراعاة مصلحة البلاد، فعمل على استئلاف البربر المناوئين للحكم الأموي وكسبهم إلى صفه في حربه مع الفاطميين فأغدق عليهم الأموال والألطف<sup>2</sup>.

لذلك أخذ البربر على عاتقهم مهمة بناء الأندلس والذّب عن حماه، ففي سنة (324هـ/935م) نشبت معركة داخل الحدود النصرانية المواجهة للثغر الأوسط بين المسلمين من أهل هذا الثغر بقيادة بني رزين وبني ذي النون، وبين النصارى من أهل ألبة والقلاع (قشتالة) وانتهت المعركة بانتصار حاسم للمسلمين<sup>3</sup>.

برز من خلاله خصال البربر وأخلاقهم السامية من جلد ونجدة وشجاعة من جهة<sup>4</sup>، وجعل الأندلس ينعم بمظاهر الرقي والحضارة والاستقرار السياسي<sup>5</sup>، الذي حمل المجتمع الأندلسي أن يكون لحة اجتماعية واحدة تتضاءل بل تذوي في رحابها الاختلافات الإثنية.

لكن هذا التشكيل الإثني لما يفتقد للزعامة المثلى، يجعل الأندلس تضطرم في غمار الفوضى والاضطراب، والتي تجسدت في صورة ساطعة اعتاد المؤرخون

<sup>1</sup> علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 2009م، ج1، ص182.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: مفاخر البربر، ص94.

<sup>3</sup> ابن حيان: المقتبس في تاريخ أهل الأندلس، نشر شالميتا، ضبط وتحقيق فاكورينطي، م. صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد، كلية الآداب بالرباط، 1979م، ص381، 437، 438.

<sup>4</sup> علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي: تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق عبد الإله أحمد نيهان ومحمد فاتح صالح زغل، ط1، دار البارودي للطباعة والنشر، أبو ظبي، 2003م، ص292.

<sup>5</sup> ابن عبد الحكم: فتوح إفريقيا والأندلس، ص22.

تسميتها "الفتنة البربرية" فقط لأن العنصر البربري كان طرفاً فيها، وتجاهلوا الدور الجسيم الذي لعبه أولئك المغامرون أو الطامحون للحكم، حينما أغراهم وهج السلطة وزخرفها، فلم يأبهوا لمصلحة المجتمع في تماسكه واندماجه وراحوا يدبرون المؤامرات للظفر بمنصب الخلافة<sup>1</sup>.

وقد يُعذّل العرب والبربر في هذه الفتنة لأنهم انساقوا وفق تيارهم، وتناسوا النتائج السلبية للفتنة التي كانت لها انعكاسات بالغة على تاريخ الأندلس، فعلى الصعيد الاجتماعي قوضت هذه الأخيرة وشائج الأخوة الدينية، حينما لجأ العرب والبربر على حد سواء إلى الاستجارة بالنصارى أعداء الإسلام<sup>2</sup>.

ناهيك عن السيول الدموية التي جرفت أشلاء الأهالي على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، مثل الذي حل بسعيد بن منذر خطيب جامع قرطبة أيام الحكم المستنصر<sup>3</sup>.

هذه المظاهر السلبية ألقت بظلالها على الجانب الحضاري إذ طُمست معالمه الأساسية وعلى رأسها المساجد التي أُعريت سقوفها، وهُجّر صبيانها<sup>4</sup>.

وإذا أردنا الإشارة للجانب الأكثر تأثراً بالصراع العربي البربري بالأندلس فالجدير بنا الحديث عن الخلافة الكيان المعنوي للرعية، الذي سرعان ما ذهب ريحه وأفل ضياؤه، لما انتزى كل زعيم بناحية وأعلن نفسه أميراً عليها، فتهاوت بذلك

<sup>1</sup> سعد عبد الله صالح البشري: "الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316-422هـ/928-1030م)", رسالة ماجستير، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1997م، ص 43-44.

<sup>2</sup> عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص 47؛ وابن عذارى: البيان المغرب، ج 3، ص 86.

<sup>3</sup> أبو القاسم بن عبد الملك الخزرجي بن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق وتعليق، بشار عواد معروف، ط 1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م، ج 1، ص 290، رقم 474.

<sup>4</sup> أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، المجلد 1، 1997م، ص 44.

مظاهر التماسك والترابط الاجتماعي، ودخلت الأندلس إلى عصر جديد، هو عصر ملوك الطوائف أو عصر الفرق على حد تعبير ابن الكردبوس<sup>1</sup>.

لكن من المفارقات والتناقضات التاريخية، أن تحمل هذه الفتنة في ثناياها بذور الانفراج الفكري الذي ساد الأندلس، وساهم في صقل شخصيتها الحضارية، وهذا بفعل نزوح علماء قرطبة وأدبائها إلى المدن الأخرى، فكانوا بمثابة منارات أضاعت المدن التي دخلوا إليها، واستقروا بها، وتجلت ذلك في عصر ملوك الطوائف حين أضحت إشبيلية وقرطبة وطليلة ودانية مراكز حضارية زاهرة<sup>2</sup>.

كما ساهمت كتب الحكم المستنصر في رقد الحضارة الأندلسية، بعد أن انتشرت في مختلف نواحي الأندلس، إثر الحصار البربري لقرطبة<sup>3</sup>. ذلك الحصار الذي انجر عنه ارتفاع أسعار الغلال وتدهور الأوضاع الاجتماعية للسكان، فلم يجدوا ما يسدون به رمقهم، لذلك لجؤوا إلى بيع الكتب بثمن زهيد نظير حياتهم<sup>4</sup>. فهذه الكتب كانت فناديل ألفت قبسا من ضوءها على أهل الأندلس قاطبة، فلا يخالجننا شك في مدى أهميتها العلمية وقيمتها الحضارية.

<sup>1</sup> عبد الملك بن محمد التوزري ابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق صالح بن عبد الله الغامدي، ط1، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2008م، ج2، ص1232.

<sup>2</sup> سعد البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، ص88.

<sup>3</sup> المقري: نفع الطبيب، ج1، ص386.

<sup>4</sup> رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ج2، ص183.

## الفصل الثالث:

### ثورات المولدين (عمر بن حفصون أنموذجا)

أولاً: المولدون وطبيعة ثوراتهم.

ثانياً: التشكيل المولدي بين المآثر والمثالب.

مثّلت ثورات المولدين أكبر المخاطر التي منيت بها الدولة الأموية في الأندلس، ونظراً لما يشوبها من غموض وإيهام، فمن الصعب بمكان الغوص في أغوارها وفك رموزها، للظفر بتفسيرات واضحة، إلا أن إفرازات ومضاعفات هذه الثورات سوف تزيح قسطاً من هذا الالتباس، وتكشف عن مدى انصهار المولدين داخل النسيج الإثني الأندلسي من عدمه.

## أولاً- المولدون وطبيعة ثوراتهم:

### 1- تعريف المولدين:

المولدون طبقة نشأت في الأندلس نتيجة زواج المسلمين سواء كانوا عرباً أم بربراً من نساء أعجميات<sup>1</sup>، كالكلائي ينتمين إلى الروم، والجالقة، والقشتاليين، والأرغونيين، واليهود الذين استقروا في الأندلس قبل فتحها<sup>2</sup>.

ومن أسباب اتخاذهن زوجات للمسلمين، أن الشرع لا يحرم ذلك، بالإضافة إلى ما تتصف به هؤلاء النساء من خصال وصفات خلقية وخلقية، ففن به في بعض الأحيان النساء الأخريات<sup>3</sup>. كل هاته المؤهلات جعلت المولدين يشكلون غالبية سكان الأندلس في العصر الأموي، حيث استوطنوا بشكل بارز في طليطلة واشبيلية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حسين يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي، ص41.

<sup>2</sup> إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1977م، ص41.

<sup>3</sup> خالد حسن محمد الجبالي: الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة (92هـ - 422هـ/710-1030م) مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م، ص62، 63، 64.

<sup>4</sup> عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990م، ص81.

## 2- أهم حركاتهم:

غمرت ثورات المولدين أغلب فترات الأندلس، ومعظم بقاعه، والحديث عنها يتطلب أولاً وقبل كل شيء التعرف على أسبابها ودواعيها، بالإضافة إلى مناطق انتشارها. ولتغطيتها جغرافياً أدرجنا نماذج ساطعة لثوراتهم. ونستهلها بالثغر الأدنى (بطلبوس\*، وماردة\*)، حيث حمل لواء الثورة به عبد الرحمن بن مروان بن يوسف المعروف بالجليقي سنة 261هـ/785م.

والسبب المتداول في ثورته الإهانة التي وجهها إليه الوزير هاشم بن عبد العزيز لما حل بقرطبة، ولقد قدّم ابن الخطيب توضيحاً لهذه الإهانة؛ فوصف وزير الخليفة محمد بن عبد الرحمان بسوء الطباع، وسرعة الغضب والانفعال، لذا لم يتمالك نفسه فقذفه بعبارات الازدراء، بقوله: "الكلب خير منك!"، كما صفع قفاه<sup>1</sup>. فلم يجد ملاذاً لنفسه إلا الاعتصام بحصن الحنش قرب ماردة، ومن ثم إعلان ثورته<sup>2</sup>.

ولكن ابن مروان كان قد ثار بماردة قبل قدومه إلى قرطبة، لذا تم استجلابه في مقدمة الرهائن والأسرى<sup>3</sup>.

وبالرغم من عدم معرفتنا ووقوفنا على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ثورته، لكن الإهانة التي تلقاها ابن مروان تتطوي على دلالات ومعاني عميقة لثورته.

\* بطلبوس: مدينة جلييلة بالأندلس عليها سور منيع وبها نهر كبير. انظر أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف الإدريسي الحمودي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، المجلد2، ص545.

\* ماردة: مدينة بجوفي قرطبة. انظر الحميري: الروض المعطار، ص518.

<sup>1</sup> ابن الخطيب: أعمال الأعلام، القسم الأندلسي، ص21.

<sup>2</sup> ابن الأبار: الحلة السّيراء، ج2، ص376.

<sup>3</sup> خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس (عصر الإمارة)، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1980م، ص252.

فتحت ثورة ابن مروان الجليقي المجال للمولدين لمواصلة حركاتهم الثورية، باعتبار المولدين في غرب الأندلس من أوائل من حمل راية الدعوة المولدية، فقد خرجوا على الدولة الأموية في زمن مبكر من عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن<sup>1</sup>. وإذا مددنا نظرنا بعيداً عن الثغر الأدنى إلى سرقسطة مثلاً، حيث "الثغر الأعلى"، فنرى هيجان المولدين بها، إذ حمل مشعل الثورة هناك موسى بن موسى بن فرتون بن قسي، الذي كان على ولاء وطاعة وعلاقة وطيدة بالأمويين.

لكن سرعان ما توترت العلاقة بين موسى وحكومة قرطبة، وتقدم لنا المصادر تفسيراً لذلك؛ فتذكر أن موسى شارك في معارك عنيفة ضد الإسبان، تمخضت عن انتصار ساحق للمسلمين، لكن الإهانة التي تعرض لها من طرف أحد قواد الأمويين وفضاظته معه<sup>2</sup>، قد غيرت تفكيره ونظرته للحكم العربي بالأندلس، خصوصاً لما عزله عبد الرحمن بن الحكم، وولى مكانه عبد الله بن كليب سرقسطة، وعامر بن كليب تطيلة، فعمد عبد الله بن كليب إلى الإغارة والسطو على أموال ينقة بن ونقة أخي موسى لأمه، كما انتهب عامر أموال موسى وعقر خيله<sup>3</sup>.

أما المولدون في شرق الأندلس فلقد اتخذوا من كورة تدمير \* فضاءً للتعبير عن مشاعرهم المناوئة للحكم الأموي، وتولى زعامتهم رجل يدعى ديسم ابن إسحاق، الذي انسلخ من التبعية الأموية بضربه الدراهم باسمه، لكنه ما فتئ أن عاد إلى الطاعة وضرب الدراهم باسم الإمام عبد الله<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن إبراهيم أبو الخيل: الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275-300/هـ-888-912م)، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1995م، ص172.

<sup>2</sup> ابن خلدون: العبر، ج4، ص265.

<sup>3</sup> ابن الدلائي: نصوص عن الأندلس، ص29.

\* تدمير: من كور الأندلس سميت باسم ملكها تدمير. انظر، أبا عبد الله بن عبد الله بن عبد المنعم: صفة جزيرة الأندلس، نشر وتعليق وتصحيح ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988م، ص62.

لكن الثورة التي شكلت هاجسا أرقّ ونغصّ الحكم الأموي بالأندلس هي ثورة عمر ابن حفصون\*، بجبل ببشتر\*، بنواحي رية\*، ومالقة<sup>1</sup>.

نشبت هاته الثورة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، الذي جند كل قواته لمجابهتها، لكنه لم يتمكن من القضاء عليها، ولما ارتقى الأمير المنذر سدة الحكم لم يدّخر وسعا في اجتثاث أصولها، لكن جهوده لم يكتب لها النجاح<sup>2</sup>.

وربما يكمن ذلك في عدم فهم ملابسات ثورته، وإدراجها ضمن طائفة التمردات التي غايتها الفساد في الأرض<sup>3</sup>. فإذا علمنا أن عمر بن حفصون كان يثور مرارا، لكن في آخر مرة كان قد خضع وأناب للطاعة، بعد أن استنزله القائد هاشم من حصنه، وعاد به إلى قرطبة، حيث أعطيت له دار للسكن، وأُجزلت له الأرزاق<sup>4</sup>. وهكذا نهض ابن حفصون بواجبه المتمثل في الدفاع عن حمى المسلمين إذ اشترك في الصائفة التي قادها الوزير هاشم إلى الأراضي الجليقية، ولقد أبلى ابن حفصون بلاءً حسنا<sup>5</sup>.

<sup>4</sup> ابن الدلائي: نصوص عن الأندلس، ص 11-12.

\* هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش، أول نائر بالأندلس أيام محمد بن عبد الرحمن. انظر ابن خلدون: العبر، ج4، ص 172، 174.

\* ببشتر: بالإسبانية Bobastro بلدة حصينة تقع في شمال غربي مالقة، من معاقل ابن حفصون. انظر لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق وتقديم محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م، ج3، ص 279.

\* رية: كورة من كور الأندلس قرب قرطبة. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص 116؛ والإدريسي: نزهة المشتاق، المجلد 2، ص 537.

<sup>1</sup> ابن خلدون: العبر، ج4، ص 172.

<sup>2</sup> محمد ابن إبراهيم أبو الخليل: الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ص 110-111.

<sup>3</sup> أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م، ج10، ص 112.

<sup>4</sup> ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 105.

<sup>5</sup> الونشريسي: المعيار، ج10، ص 111.

واستناداً لرواية ابن القوطية -في ظل صمت المصادر- فإن البعض قد أُعجب به لما أظهره من الشجاعة والإقدام في هذه المعركة، فقاموا بتحريضه بقولهم: "ارجع إلى حصنك الذي نزلت منه، فليس ينزلك منه إلا الموت، وستملك من الأندلس قطيعاً عظيماً، وستحارب قرطبة على أبوابها"<sup>1</sup>.

وتضافرت هذه التحريضات مع ما كان يلقاه من سوء المعاملة بقرطبة؛ ذلك أن عاملها محمد ابن وليد ابن غانم قد حرم ابن حفصون من الطعام الطيب، فأعطاه الخبز فقط، فأخذ عمر ذلك الخبز وقدمه لابن غالب، وقال له: "يرحمكم الله، يمكن أن يعاش من هذا الخبز أم تبقى معه صحة؟! " فرد عليه ابن غالب قائلاً: "ومن أنت يا شيطان، فأنت أهل لأشر منه"<sup>2</sup>.

لذا عاود ابن حفصون التمرد والعصيان، وبفضل بعض خصاله الحميدة؛ كحفظه للحرمان، وصيانتة للحقوق، وتقديره واحترامه للمرأة<sup>3</sup>، تمكن من حشد الأنصار واجتذاب الأتباع الذين أثار فيهم بكلامه الواعظ، إذ خطب فيهم قائلاً: "لطالما عَنّف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، وأدلتكم العرب واستعبدتكم، وإنما أريد أن أقوم بثأركم، وأخرجكم من عبوديتكم"<sup>4</sup>.

فما من شك أن لهذه الخطب وقع وصدى في نفوس الرعايا، لذلك لقيت ثورته رواجاً والتفافاً منقطع النظير، فعمت معظم الجنوب الأندلسي، معبرة عن رسائل زعيمها، مما كان يعتمل من هواجس نفسه ومكنوناتها، ومستغلة في الوقت ذاته ضعف وهشاشة السلطة المركزية.

<sup>1</sup> ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 109.

<sup>2</sup> الونشريسي: المعيار، ج 10، ص 111-112.

<sup>3</sup> ابن عذارى: البيان المغرب، ج 2، ص 114-115.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج 2، ص 114-115.

لذلك فهذه المعطيات تداخلت وتفاعلت جميعها حتى قويت ثورته، واشتد ساعدها، فلم يتمكن الأمراء الأمويون من سحقها إلا باعتلاء عبد الرحمن الناصر عرش الدولة الأموية، والذي أيقن حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، في ظل الظروف والأوضاع السائدة من ثورات وتمردات مؤثرها الأساسي الاختلاف الإثني.

فكان أول عمل قام به تخفيف المغارم عن الرعايا<sup>1</sup>، كما اتبع سياسة تتلاءم مع الأوضاع النفسية للثوار، فقد كان يعلم أن هذه العصبية القديمة قد أحست بذهاب وضياح سلطانتها في دولة كانوا هم أصحابها وساداتها<sup>2</sup>.

وتقوم سياسته أساساً على الاستئمان، وهو مزيج من الدهاء والمعرفة بطبائع البشر، يحدوها الاستعداد والقوة لمواجهة الخصم إذا نبذ الطاعة. ومن مظاهر هاته السياسة أن يعرض على الثوار الأمان، والسماحة، والعيش الكريم، والعفو عنهم، وكان يفى بما يعد، فلقد عمل على استئلاف عمر بن حفصون، وإرساله معزراً إلى قرطبة<sup>3</sup>، فكان لسياسته أبلغ الأثر في اندثار الفوضى والاضطراب، وتوثيق أواصر الوحدة الاجتماعية، وانكفاء داء الفتن.

وتزامنت وفاة عمر بن حفصون بحكم عبد الرحمن الناصر، وبموته سنة 917/305م انتهت الثورة\* بالرغم من أن أبناءه أرادوا اقتفاء أثره في الخروج عن

<sup>1</sup> ابن خلدون: العبر، ج4، ص177.

<sup>2</sup> سامية مصطفى مسعد: التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس الإسلامية (93-422هـ/ 711-1030م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2004م، ص108.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص108، 112.

\* إن زوال ثورة عمر بن حفصون بمجرد موته يقف دليلاً قاطعاً أنه كان محركها الأساسي، ليرضي طموحاته الشخصية، لاسيما أنه جنح للسلم ورضي بما حباه به الناصر من حياة رغبة، ومكانة مرموقة، غير أنه بالجموع الذي كان تحت إمرته.

الحكم الأموي، لكنهم لم يتمكنوا من مواصلة مسار أبيهم، إذ قتلوا جميعاً في خلافة عبد الرحمن الناصر<sup>1</sup>.

وصفوة القول أن ثورات المولدين بالأندلس هي انعكاسات صارخة لضعف الحكم الأموي، الذي انجرّ عنه تلك الممارسات الخاطئة التي اقترفها بعض العرب في حقهم. فمن بين ما سجلته لنا المصادر في هذا المنحى أن أحد الشعراء- عباس بن فرناس- قد وصف من اشترك في موقعة وادي سليط سنة 249هـ/854م بالعبدان. ومن المعروف أن جمهرة من أهل طليطلة المولدين كانوا قد شاركوا في هذه الواقعة<sup>2</sup>.

لذلك انتهج المولدون أسلوب الثورات، تعبيراً عن رفضهم واستيائهم للذي تجرّعه من إهانات، فهو لا يعبر عن كونه تياراً شعوبياً، لأن العرب اشتركوا كذلك في هذه الثورات، إذ ذكرت المصادر انضمام الحارث بن حمدون زعيم بني رفاعة إلى عمر بن حفصون<sup>3</sup>.

كما أن ثورات المولدين تدل على عدم اندماج المجتمع الأندلسي، فأحياناً كانت مشادات كلامية سرعان ما تتضخم لتصبح جريمة، مثل ما حدث مع أحد أتباع يوسف الفهري- وهو من أصل مولدي- إذ تباهى أمام أحد أتباع عبد الرحمن الداخل بأنه لن يصل إلى درجته في تحبير الرسائل، فما كان من حاشية عبد الرحمن إلا أن احتجزوه، لأنه بدأ بالشتم والانتقاص، وهو كما يقولون ابن الخبيثة العليج<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص213؛ وابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص172.

<sup>2</sup> أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ج5، ص221؛ وابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص112.

<sup>3</sup> ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص106؛ وابن خلدون: العبر، ج4، ص173.

<sup>4</sup> مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ص76.

فهذه المظاهر وأخرى، جعلت المولدين يشربون لاسترجاع مكانتهم وكرامتهم التي تتأتى بزعمهم في القيام بالثورات، غافلين عن النتائج الفادحة التي تخلفها مثل هذه السلوكات والممارسات.

## ثانياً- التشكيل المولدي بين المآثر والمثالب:

أدى العنصر المولدي بالأندلس أدواراً مختلفة جسدت في بعض الأحيان نقاط قوة للمجتمع الأندلسي، وأحياناً كان العكس.

### 1- المظاهر السلبية:

إن المتصفح لتاريخ المولدين بالأندلس يقف على حقيقة مفادها أن ثوراتهم كانت لا تهدأ إلا بحد السيف، ومما زاد في سعارها أنهم كانوا يلجؤون إلى إبرام تحالفات مع الخصوم. فإذا أخذنا ثورة عمر بن حفصون أنموذجاً باعتبارها من أعتى وأخطر الثورات، فسنجده لا يتوانى في إظهار الطاعة والانقياد لبني العباس<sup>1</sup>.

كما عمد إلى مبايعة الفاطميين ألد أعداء الأمويين ففي سنة 301هـ/913م، كتب عمر ابن حفصون إلى عبد الله الشيعي ينبئه بخضوعه وانقياده له، فبعث إليه أبو عبد الله الشيعي بهدية ورغبة في اعتماد مذهبه في الأذان والصلاة والخطبة فقبل ابن حفصون ذلك<sup>2</sup>.

ولا جرم أن مثل هذه التحالفات مع المخالفين للمذهب المالكي هي انتهاكات واضحة وجليّة لمقدسات الأمويين، من شأنها أن تتلم الوحدة المذهبية للمجتمع الأندلسي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العربي، ص116.

<sup>2</sup> مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص156.

<sup>3</sup> شاكر مصطفى: الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م، ص46.

وعلاوة عما سبق فإن ابن حفصون عقد تحالفات مع أبناء جلدته ليشدوا أزره، ففي سنة 285هـ/898م عقد اجتماعاً بجيان مع محمد بن لب القسوي صاحب الثغر الأعلى، وكان هدفهما إعلان التمرد وعصيان الخلافة الأموية<sup>1</sup>.

ولقد أثرت هذه المظاهر السلبية لثورته على مستقبل الأندلس أيّما تأثير، إذ قل الخراج لامتناع أهل النواحي عن أدائه، وكان خراج الأندلس قبله ثلاثمائة ألف دينار، مائة ألف منها للجيش ومائة ألف للنفقة في النواحي ومائة ألف ذخيرة ووفراء، فأنفقوا الوفر في تلك السنين وقل الخراج<sup>2</sup>. كما تراجع اقتصاد الأندلس بسبب تخريب الزروع وقطع الأشجار<sup>3</sup>.

وينبغي التنويه أن عمر بن حفصون قد كيّف ثورته بعودته إلى أصوله بإظهاره النصرانية، فلقد دافع عن كنيسة كانت بموضع يعرف باللّويات، هذه الكنيسة كان قد شيدها عمر بن حفصون<sup>4</sup>.

وهناك ما يؤازر هاته الرواية، فقد أورد ابن حيان خبر تنصر عمر بن حفصون في سياق حديثه عن وفاته، فيقر أن عمر بن حفصون اعتنق النصرانية لأن جثته كانت مدفونة على شكل جثث النصارى، إذ كان ملقى على ظهره مستقبلاً لجهة المشرق بوجهه واضعاً ذراعه على صدره كما يدفن النصارى<sup>5</sup>.

وبالرغم من عدم اطمئناننا لهذه الرواية، لكن مدافعة ابن حفصون عن الكنيسة المسيحية قد يقف دليلاً جازماً عن رجوعه للنصرانية أو رغبته في ذلك. وهذا ما

<sup>1</sup> ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العربي، ص150.

<sup>2</sup> ابن خلدون: العبر، ج4، ص170.

<sup>3</sup> ابن حيان: المقتبس، تحقيق إسماعيل العربي، ص131، 135.

<sup>4</sup> ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص279.

<sup>5</sup> ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص116-117.

أجمعت عليه المصادر فذكرت أن عمر قد ارتد عن الإسلام، وأظهر النصرانية ما بين سنتي 285هـ/898م و286هـ/899م<sup>1</sup>.

وبتتصر عمر بن حفصون نسدل الستار عن ثورته التي كانت في الحقيقة ذات مطالب ومرامي مشروعة، لكن الطريقة والكيفية التي أرادت بها تحقيقها لم تكن صائبة.

## 2- المظاهر الإيجابية:

إن الصور السلبية التي انعكست على الأندلس بفعل ثورات المولدين، سرعان ما انقشعت وتلاشت، فاتحة المجال لمشاهد أخرى ساهمت في تثبيت مقومات وهوية المجتمع الأندلسي، والمتمثلة أساساً في الدين الإسلامي، واللغة العربية التي انتشرت بفعل الزواج المختلط بين المسلمين والإسبانيات<sup>2</sup>.

ولم تقتصر مشاهد التقارب الاجتماعي على الزواج فقط، بل تعداه إلى ميادين اقتصادية؛ كالزراعة، والصناعة التي امتهنها المولدون، فساهموا بذلك في ازدهار الحياة الاقتصادية للأندلس<sup>3</sup>.

وإذا وددنا الإشارة للجانب الحضاري، فإن تداخل واختلاط اللغة العربية باللغة العجمية (اللاتينية) أدى إلى نشوء فن الأزجال والموشحات\*، الذي يعبر عن عمق ووحدة المجتمع الأندلسي، ناهيك عن كونه مساحة لتهديب النفس والارتقاء بها،

<sup>1</sup> مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص155؛ وابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج2، ص140.

<sup>2</sup> يوسف دويدار: المجتمع الأندلسي، ص41.

<sup>3</sup> ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص24.

إضافة إلى أنه يترجم معاناة المجتمع الأندلسي بطريقة سلمية، كما أنه يعتبر همزة وصل بين المولدين والعرب<sup>1</sup>.

وتتوجها لفضائل المولدين، وإيرازا لمآثرهم، ظهرت طائفة من العلماء ساهمت في صياغة وحفظ الإرث التاريخي للأندلس، مثل المؤرخ الأندلسي المعروف بابن القوطية\* صاحب كتاب "تاريخ افتتاح الأندلس"، وهو مجموعة من الأخبار المختصرة دونها بعض طلابه تتخللها بعض الروايات الأسطورية<sup>2</sup>.

كما نشأت أسر مولدية حملت على عاتقها مهمة بناء الأندلس، من خلال افتكاكها إحدى لبناته الأساسية، ألا وهو رتبة الفقيه؛ مثل عائلة بني الخطاب بمرسية، إذ لَمع منهم أبو جمره محمد وابنيه خطاب وأبو الفضل عميرة<sup>3</sup>.

هذا الأخير، ذكره القاضي عياض بأنه مولى عبد الله بن مروان، وقد رحل مع أبيه وأخيه محمد إلى إفريقية، وسمعوا المدونة من الإمام سحنون -رحمه الله-<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص377.

\* يذكر ابن خلدون أن أول من أنشأ فن الموشحات هو مقدم بن معافر الفريدي من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني. انظر ابن خلدون: المقدمة، ص871.

\* الموشح هو فن شعري يستند إلى أصل شعبي هو الأغنية الشعبية، بينما الزجل هو شعر عامي يُكتب باللغة العربية.

\* ابن القوطية: هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسي، ونُسب لأمه القوطية وهي سارة بنت المنذر بن جطسية من بنات ملوك القوط. انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص219-220.

<sup>2</sup> الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1987م، ص29.

<sup>3</sup> سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو خطاب بن عبد الجبار التدمري (أسرة من المولدين بمرسية في العصر الإسلامي)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1989م، ص40.

<sup>4</sup> القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1983م، ج4، ص463-462.



الخاتمة

إذا كان التاريخ بصفته مرآة عاكسة لتفاعل الأمم، واحتكاك الشعوب، وتداخل الحضارات، يستقي منه المؤرخ العبر والعظات، لينير بها الفهوم، ويقوم المسار البشري، فينأى عن تجاذبات وترسبات الماضي، ليفتح آفاقا لاستشراف المستقبل، فإن أداته الطيعة الكتابة والتأليف، التي من شأنها أن تقدم تحريّات واستنتاجات مركزة، تحقق الهدف المنشود.

لا سيما إذا كان الموضوع من القضايا الحيوية والمفصلية في تاريخ الإنسانية، مثل موضوع البنى الإثنية، الذي اتخذناه محطة لرصد مظان الحراك البشري، وما نجم عنه من آثار وتداعيات في صقع دمج الاختلافات والتناقضات، فكان مسرحا حافلا بمظاهر الثراء والشقاء.

وانطلاقا من مسارنا حول جدل وإشكالية التوافق والتصادم بالمجتمع الإسلامي في الأندلس، استوحينا بعض الآراء، والتقطنا بعض النقاط، نوردتها كالاتي:

لم يستطع العرب صيانة وحدتهم وتآلفهم، إذ سرعان ما دبّت الفرقة بينهم بسبب اختلاف الانتماء القبلي، فانبجست للعيان العصبية القبلية، مستغلة شساعة الأرض الأندلسية، وبعدها الجغرافي عن مركز الخلافة الأموية.

ومن منظور تحليلي، فإن مكامن وخلفيات العلاقة بين العرب وباقي الأعراق مثل البربر، والمولدين، كان محرّكها، ومُشعل فتيلها الأساسي، تلك النظرة القاصرة التي تبناها المتحكمون في دواليب السلطة، ذلك لأنهم قدّموا مصالحهم الشخصية

على المصلحة العامة للمجتمع، فأقدموا على استصغار كبرى شرائحه، والتي لم يكن لها أي جرم سوى أنها ارتضت وتبنت الإسلام ديناً<sup>1</sup>.

ولقد لاحظنا من خلال القضايا التي ضمناها في البحث كيفية استغلال النصارى للفوضى والاضطرابات الداخلية التي كان المجتمع الأندلسي يزرع تحت وطأتها، مستندين في ذلك إلى حماسة واندفاع البربر، والمولدين، وبعض العرب من الذين تقمصوا أفكارهم.

كل هذه المشاهد والصور قد ألمت بالخلافة السلاح المعنوي للعامة، وأضررت كثيرا بها، مما زج بالأندلس في غياهب الانشطار.

غير أن الجوانب المشرقة التي رسمها التنوع الإثني في الأندلس قد عبرت عن بعده الحضاري والثقافي، حينما تلاق الذوق والحس الفني للمولدين برصانة وعزيمة العرب، وشجاعة وإقدام البربر، فأنتج ذلك حكما قويا في دولة مهابة الجانب، ووفرة الخيرات، غزيرة العلم، حافظة للمثل والقيم الوطنية والأخلاقية.

وفي الأخير، وقبل أن نطوي صفحات هذه الدراسة، لا ضير في استحضار تفسيرات وتعقيبات لأنتروبولوجيين، شكّلت في عمومها مكانزمات في تاريخ الإنسانية، لنرى ما جادت به قريحتهم في شأن الإثنيات.

فبناء على تصوراتهم ورؤاهم، فإن تنوع وتعدد الفئات التي تكوّن سكان مجتمع ما يستوجب بالدرجة الأولى وضع برامج معينة للخدمات أو نظم عامة وموحدة في الدولة بحيث تزول الفوارق الإثنية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن إبراهيم أبو الخيل: الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ص 431-432.

<sup>2</sup> محمد عبده محجوب: الاتجاه السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، الكويت د.ت، ص 84.

وتماشيا مع وجهات نظر الأنثروبولوجيين حاول روسو في كتابه "العقد الاجتماعي" أن يصوغ النظام الاجتماعي من خلال اعتناقه فكرة أن فساد المجتمع لا يعود للإنسان كونه فردا، بقدر ما يرجع ذلك إلى الطريقة الرديئة المحكوم بها هذا الإنسان<sup>1</sup>.

وليس ببعيد عن نظريات الأنثروبولوجيين أدلى ابن خلدون بقواعد وأصول للتظير الفكري، فكان حضوره من خلال مقولته الراجحة والسديدة، والتي تجزم بأن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلّ أن تستحكم فيها دولة، والسبب في ذلك تضارب الأهواء والمصالح، التي تتبع وتنتأى من عصبية مختلفة، تعتقد كل منها أن لها منعة وحصانة، فيكثر الخروج عن الدولة<sup>1</sup>.

وفي ضوء ما تقدم عرضه، يمكن أن نفتح نوافذ لتفعيل النقاش واستثارتته، عن طريق طرحنا التساؤل والانشغال الآتي: ما هو السبيل الأنجع للتعامل ولاحتماء الإثنيات المختلفة؟ وكيف يمكن صهرها في بوتقة واحدة، لا سيما في ظل غياب الزعامات الفذة؟

ولعل الإجابة على هذا الإشكال سيزيح حواجز الصمت، ليكون المتنفس والمنفذ للذي يشهده المجتمع الإسلامي اليوم من صدمات وصراعات طائفية، من شأنها الإخلال بمضامين ومرتكزات الوحدة، خصوصا لما يتخذ الدين مطية وأسلوبا وواجهة للخلاف ونبذ الطاعة.

<sup>1</sup> لويس دومن: مقالات في الفردانية "منظور أنثروبولوجي للإيديولوجية الحديثة"، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006م، ص134.

\* لاشك أن طرح الأنثروبولوجيين يتقاطع إلى حد كبير مع ما كان يحدث بالأندلس.

<sup>1</sup> ابن خلدون: العبر، ج1، ص206.

الورّاقية

- القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)

### أولاً- المصادر:

1- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البنسي (ت 658هـ/1260م): **الحلة السيرة**، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1985م.

2- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت 630هـ/1232م): **الكامل في التاريخ**، مراجعة، وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.

3- ابن الأحمر، إسماعيل (ت 807 أو 810هـ/1407 أو 1404م): **بيوتات فاس الكبرى**، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م.

4- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن الحمودي الحسيني (ت 558هـ/1163م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.

5- ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت 542هـ/1148م): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، 1997م.

6- ابن بشكوال، القاسم خلف بن عبد الملك الخزرجي (ت 578هـ/1183م): **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2010م.

- 7- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي (ت 597هـ/1201م):  
**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م.
- 8- ابن حزم، أبو محمد علي بن محمد الأندلسي (ت 456هـ/1064م): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، ط5، مصر: دار المعارف، "د.ت".
- 9- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 750هـ/1349م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م.
- 10- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 750هـ/1349م): **صفة جزيرة الأندلس**، نشر وتعليق وتصحيح: ليفي بروفنسال، ط2، بيروت: دار الجيل، 1988م.
- 11- ابن حيان، أبو مروان حيان ابن خلف الأندلسي (ت 469هـ/1076م):  
**المقتبس في تاريخ الأندلس**، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، ط1، المغرب: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1990م.
- 12- ابن حيان، أبو مروان حيان ابن خلف الأندلسي (ت 469هـ/1076م):  
**المقتبس**، نشر: ب. شالميتا، ضبط وتحقيق: فاكورينطي وم. صبح، الرباط: كلية الآداب، 1979م.
- 13- ابن الخطيب، لسان الدين (ت 776هـ/1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق وتقديم: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1975م.

- 14- ابن الخطيب، لسان الدين (ت 776هـ/1374م): أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، بيروت: دار المكشوف، 1056م.
- 15- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2000م.
- 16- ابن الدلائي، أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت 478هـ/1085م): نصوص عن الأندلس، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، "د.ت".
- 17- الذهبي، شمس الدين محمد أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1374م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982م.
- 18- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت 425هـ/1033م): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعمر موسى، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م.
- 19- ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد المالك المغربي (ت 685هـ/1286م): المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق: شوقي ضيف، ط4، القاهرة: دار المعارف، 2009م.
- 20- السلوي، أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ/1897م): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق، جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1954م.

- 21- الضببى؁ أأمد بن آهان بن أأمد بن عمفرة (ت 599هـ/1202م): بغة الملمس فى أارفا ربال أهل الأندلس؁ أأقفق: إبراهم الأبارى؁ ط1؁ دار الكتاب المصرى؁ دار الكتاب اللبناى؁ 1989م.
- 22- ابن عبء الأكم؁ عبء الرأمن ابن عبء الله (ت 257هـ/871م): ففوف إفريقيا والأندلس؁ أأقفق وأقأم: عبء الله أنفس الطباع؁ دار الكتاب اللبناى؁ 1964م.
- 23- ابن عبء ربه؁ أأمد بن مأمد الأندلسى (ت 328هـ/939م): العء الفرفء؁ أأقفق: مففء مأمد قمفأة؁ ط1؁ بفرور: دار الكتب العلمفة؁ 1983م.
- 24- عبء الواء المراكشى؁ مأى الءفن بن على الأمفمى (ت 625هـ/1228م): المعب فى أألفص أخبار المغرب؁ أقأم وأأقفق وأعلق: مأمد زفنهم مأمد عاب؁ القاهرة: دار الفرجانى؁ 1994م.
- 25- ابن عذارى المراكشى؁ أبو العباس أأمد بن مأمد (أى سنة 712هـ/1312م): البهان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب؁ أأقفق: أ. س. كولان ولففى بروفنسال؁ ط2؁ بفرور: دار الأأافة؁ 1980م.
- 26- عفاض؁ أبو الفضل عباس بن موسى السببى الأصبى (ت 544هـ/1149م): أربب المءارك وأقرب المسالك لمعرفة أعلام مأهب مالك؁ أأقفق: عبء القاءر الصأراوى؁ ط2؁ المملكة المغربفة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامفة؁ 1983م.
- 27- أبو الفءاء؁ عماء الءفن إسماعل (ت 732هـ/1331م): المأأصر فى أخبار البشر؁ ط1؁ المأبعة الأسنفة المصرفة "ء.ء".

- 28- ابن القوطفة، أبو بكر محمد بن عمر (ت 367هـ/983م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، 1989م.
- 29- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ/1373م): البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر، "د.ت".
- 30- ابن الكردبوس، عبد الملك بن محمد التوزري (حي سنة 594هـ/1198م): الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق: صالح بن عبد الله الغامدي، ط1، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 2008م.
- 31- المسعودي، أبو الحسن بن علي (ت 346هـ/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة: كمال حسن مرعي، ط2، بيروت: المكتبة العصرية، 2001م.
- 32- المقري، أحمد بن محمد (ت 1041هـ/1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1988م.
- 33- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، 1989م.
- 34- مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، بيروت دار الكتب العلمية، 2007م.
- 35- مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة: لويس مولينا، مدريد، 1983م.
- 36- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007م.

37-النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/1333م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.

38-ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن الأندلسي (ت 763هـ/1361م): تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق: عبد الإله أحمد نبهان ومحمد فاتح صالح زغل، ط1، أبو ظبي: دار البارودي، 2003م.

39-الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (ت بعد 957هـ/1550م): وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م.

40-الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914هـ/1508م): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، المملكة المغربية: نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1981م.

41-ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله (ت 626هـ/1228م): معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1977م.

## ثانيا - المراجع:

### 1- الكتب:

1-بوتشيش، إبراهيم القادري: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1997م.

- 2-الجبالي، خالد حسن محمد: الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة (92-422هـ)، القاهرة: مكتبة الآداب، 2004 م.
- 3-الحجي، عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (92هـ-897هـ/711م-1492م)، ط2، دمشق: دار القلم، 1982م.
- 4-حمدي، عبد المنعم: ثورات البربر في عصر الإمارة الأموية (138هـ-316م)، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993م.
- 5-أبو الخيل، محمد بن إبراهيم: الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275هـ/300م-888هـ/912م)، ط1، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1995م.
- 6-الدغلي، محمد سعيد: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، ط1، الأردن: دار أسامة، 1984م.
- 7-دوزي، رنهارت: المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب، 1994م.
- 8-دومن، لويس: مقالات في الفردانية "منظور أنثروبولوجي للإيديولوجية الحديثة"، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م.
- 9-دويدار، حسين يوسف: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مصر: مكتبة الحسين، 1994م.
- 10-ذنون، طه عبد الواحد وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، بيروت: دار الكتب المتحدة الجديدة، 2000م.

- 11- سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، "د.ت".
- 12- سالم، سحر السيد عبد العزيز: بنو خطاب بن عبد الجبار التدمري (أسرة من المولدين بمرسية في العصر الإسلامي)، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1989م.
- 13- السويدان، طارق: الأندلس التاريخ المصور، ط1، الكويت: شركة الإبداع الفكري، 2005م.
- 14- الصوفي، خالد: تاريخ العرب في الأندلس (عصر الإمارة)، ط2، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1980م.
- 15- عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، ط4، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1997م.
- 16- الفقهي، عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، "د.ت".
- 17- فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، مراجعة: حسين مؤنس، ط2، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1968م.
- 18- كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن رضا: الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ط1، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995م.
- 19- الكعك، عثمان: البربر، منشورات تالة.
- 20- محجوب، محمد عبده: الاتجاه السوسيو أنثروبولوجي في دراسة المجتمع، الكويت: وكالة المطبوعات، "د.ت".

- 21- محمود، منى حسن: المسلمون بالأندلس وعلاقتهم بالفرنفة، القاهرة: دار الفكر العربى، 1986م.
- 22- مسعد، سامفة مصطفى: التكوون العنصرى للشعب الأندلسى وأثره على سقوط الأندلس الإسلامفة، ط1، مصر: عفن للدراسات والبحوث الإنسانفة والاجتماعفة، 2004م.
- 23- مصطفى، شاكرف: الأندلس فى التاريخ، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1990م.
- 24- مكى، الطاهر أحمد: دراسات أندلسفة فى الأدب والتارىخ والفلسفة، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1987م.
- 25- مؤنس، حسين: فجر الأندلس، ط1، بفرط: دار المناهل، 2000م.
- 26- مؤنس، حسين: معالم تارىخ المغرب والأندلس، مصر: مكتبة الأسرة، 2003م.
- 27- مؤنس، حسين: موسوعة تارىخ الأندلس، ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدفنفة، 1996م.

## 2- الرسائل الجامعفة:

- 1- أشرفى، أشرف يعقوب أحمد: "الأندلس فى عصر الولاة (91-138هـ/711-756م)", رسالة ماجسفر، جامعة النجاح الوطنفة، نابلس، 2004م.
- 2- البشرى، سعد عبء الله: "الحفاة العلمفة فى عصر الخلافة الأندلس فى عصر الخلافة فى الأندلس (316هـ-422هـ/928م-1030م)", رسالة ماجسفر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1997م.

3- حداد، مزوزية: "إثنولوجية البربر"، مذكرة ليسانس، قسم التاريخ، جامعة  
باتنة، 2008م.

4- خزعل، ياسين مصطفى: "بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة  
العامة"، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2004م.

# الكشافات

01- كشف الأعلام البشرية

02- كشف الأماكن الجغرافية

## 01- كشاف الأعلام البشرية

-أ-	-خ-
آدم -عليه السلام-: 21	أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى:
أركيش: 22	10، 12، 16، 25.
أصبغ بن عبد الله بن وانسوس: 27	ابن الخطيب: 34
إفريقش بن صفى الحميري: 20، 22.	ابن خلدون: 16، 22
أمية بن عبد الملك: 12	-د-
-ب-	داوود -عليه السلام-: 22
بلج بن بشر القشيري: 11، 12، 25.	ديسم بن اسحاق: 35
-ج-	-س-
جالوت: 2	سام بن نوح -عليه السلام-: 21
ابن جمرة محمد: 43	الإمام سحنون -رحمه الله-: 43
ابن الجوزي: 21	سعيد بن منذر: 30
-ح-	سليمان بن عبد الرحمان الناصر: 28
الحارث بن حمدون: 39	-ص-
حام بن نوح -عليه السلام-: 21	الصميل بن حاتم الكلابي: 13، 14
الحربن عبد الرحمن الثقفي: 25	-ض-
الحكم الربضي: 27	الضحاك بن قيس: 09
الحكم المستنصر: 30، 31.	-ط-
حنظلة بن صفوان:	طارق بن زياد: 23، 24.
ابن حيان: 41	

- ابن كثير: 21
- ابن الكردبوس: 31
- كنعان بن حام بن نوح: 22
- م-
- مازيغ بن كنعان: 22
- مالك بن يحيى بن يزيد التجيبي: 27
- محمد بن لب القسوي: 41
- محمد بن الوليد ابن غانم: 37
- محمد بن هشام بن عبد الجبار: 28
- مروان بن الحكم: 09
- معاوية بن يزيد: 09
- المنذر بن عبد الرحمان: 36
- موسى بن سالم الخولاني: 27
- موسى بن محمد بن أوس: 24
- موسى بن موسى بن فرتون: 35
- موسى بن نصير: 10، 24، 25.
- ميسرة المطغري: 26
- محمد بن عبد الرحمن: 35، 36
- ن-
- نوح -عليه السلام-: 21، 22
- ه-
- هاشم بن عبد العزيز: 34.
- هشام الرضي: 27
- هشام بن عبد الملك: 12، 13
- ع-
- عامر بن كليب: 35
- عباس بن فرناس: 39
- عبد الرحمان بن الحكم: 35
- عبد الرحمان الداخل: 14، 17، 39.
- عبد الرحمان بن مروان بن يوسف:
- 34
- عبد الرحمان الناصر: 29، 38، 39.
- عبد الله الشيعي: 40
- عبد الله بن كليب: 35
- عبد الملك بن قطن: 10، 11، 12.
- ابن عذارى: 13
- عقبة بن الحجاج السلولي: 26
- عمر بن حفصون: 36، 37، 38،
- 39، 40، 41، 42.
- عنيسة الكلبي: 15
- ف-
- فاران بن عمليق: 22
- أبو الفضل عميرة: 43
- ق-
- قطن بن عبد الملك: 12
- ابن القوطية: 37، 43
- القاضي عياض: 43
- ك-

يزيد بن معاوية: 09.	هشام المؤيد: 28
ينقة بن ونقة: 35	-ي-
يوسف الفهري: 14، 39.	يافت بن نوح -عليه السلام-: 21
	يحيى بن يحيى الليثي: 27

## 02- كشاف الأماكن الجغرافية

الجزيرة الخضراء: 11	-أ-	أسترقفة: 26
جليقية: 26		أستوريش: 15
جيان: 41		إشبيلية: 31، 33.
-ح-		أصيلا: 16
الحبشة: 20		أقورة برطورة: 12
الحيرة: 08		الأندلس: 09، 10، 11، 12، 13،
-د-		14، 15، 16، 17، 19، 23، 24،
دانية: 31		25، 26، 27، 28، 29، 30، 31،
دمشق: 09		33، 34، 35، 36، 37، 39، 40،
-ر-		41، 42، 43.
رية: 36		أوروبا: 08
-س-	-ب-	ببشتر: 36
سرقسطة: 35		برقة: 20
السند: 08		بطليوس: 34
السودان: 11، 20		البيرة: 11
-ش-	-ت-	تدمير: 11، 35.
الشام: 08، 10، 13، 16.		تطيلة: 35
شدونة: 16		-ج-
شقندة: 15		

-ل-	-ط-
اللّويّات: 41	طليطلة: 31، 33، 39.
	طنجة: 16
-م-	-غ-
ماردة: 27، 34.	غرناطة: 31
مالقة: 36	
مرج راهط: 09	-ق-
مرسية: 43	قرطبة: 11، 24، 28، 30، 34،
المصارّة: 14	35، 36، 37، 38.
المشرق: 08، 22.	قشتالة: 29
المغرب: 08، 10، 20، 22، 26.	

## فهرس المحتوى

	الموضوع	الصفحة
1.....	المقدمة:	
(17-07).....	الفصل الأول: الصراع بين القيسية واليمنية.	
08.....	أولا: الخلفيات:	
09.....	ثانيا: التجليات	
15.....	ثالثا: الانعكاسات	
(31-18).....	الفصل الثاني: الفتنة البربرية.	
19.....	أولا: البربر وأصولهم الإثنية.	
19.....	1- البربر: الدلالة والاصطلاح.	
20.....	2- الأصول الإثنية للبربر.	
23.....	ثانيا: تعايش العرب والبربر في الأندلس.	
26.....	ثالثا: الاحتكاك العربي البربري وتداعياته.	
26.....	1- الأسباب والمظاهر.	
28.....	2- الآثار والنتائج.	

الفصل الثالث: ثورات المولدين (عمر بن حفصون أنموذجا).....(32-43)

أولاً: المولدون وطبيعة ثوراتهم.....33

1- تعريف المولدين.....33

2- أهم ثوراتهم.....34

ثانياً: التشكيل المولدي بين المآثر والمثالب.....40

1- المظاهر السلبية.....40

2- المظاهر الإيجابية.....42

الخاتمة:.....44

الوراقية:.....48

الكشافات:.....58

1- كشف الأعلام البشرية.....59

2- كشف الأماكن اجغرافية.....62

فهرس المحتوى.....64

« إنني رأيت أنه لا يكذب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا  
لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان  
أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا أعظم العبر وهو دليل على  
استيلاء النقص على جملة البشر» الأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم